قاعدة بذكر ثلاثة أصول

عورضت بها الشريعة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٩ م

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٣٢٠٧

الترقيم الدولي: ٩-٨٧-٦٦١٨-٩٧٧-٩٧٨

الناشر

٢٣ شارع محمد عبده - خلف الجامع الازهر - القاهرة

٠٠٢٢٥١١٧٧٤٧

فرع المنصورة: شارع الهادي - عزبة عقل - المنصورة

ت: ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣ - ٠٠٢٠١٠٠٧٧١١٦٦٥

واتس/ ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣

Dar_Elollaa@hotmail.com

قاعدة بذكر ثلاثة أصول

عورضت بها الشريعة

تأليف

أبي إسحاق محمود بنْ أحـمد الزويد

غفرالله له ولوالديه وأهله والمسلمين، وعامله بستره الكريم

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُ بهِ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدهِ الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن الا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمد عبده ورسوله، ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

[الأحزاب:٧٠ - ٧١].

أمّا بعد:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي، هدي محمّدٍ ﷺ، وشر الأمورِ محدثاتها، فإنّ كلَّ محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار، وبعد:

اعلم أيها الأخ المكرم أنّ شرف الإنكار على أهل البدع بالضوابط الشرعية، وبالسياسية الحكمية من علامات السلف! ومنهج أهل السنَّة والجماعة، بل هو من أعظم القربات وأجل الطاعات، وبه امتاز أهل السنة عن سائر الفرق؛ وأهل الإسلام عن سائر الملل! فإنَّ النصارى وقع فيهم المنكر وظهرت فيهم بدع من القول، وزور من الفعل والكذب والبهتان، لم ينكروها! فعمهم الله بعقابٍ من عنده؛ كما حكى الله تعالى عنهم في كتابه المعصوم؛ وليس حال أحفاد القردة والخنازير من اليهود الملاعين بخير منهم، فهم أعداء الله، وقتلة الرسل، وحسبك بهذا المنكر جرمًا! فأسأل الله أن يجعلني وإياك من هذه الثلَّة التي كتب الله على أيديهم أن تحمل لواء السنة وتبارز أهل البدعة بالعلم والبنان والقلب واللسان وتجاهدهم في الله حق الجهاد وذلك بإحقاق الحق وإزهاق الباطل إنّ ربي سميع قريب، ، فعَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَتِ الْفِتَنُ أَوِ الْبِدَعُ وَسُبَّ أَصْحَابِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صَرْفًا وَلا عَدْلا**»(١) هذا وقد امتن الله على

(١) رواه الخلال في السنة، (٣/ ٤٩٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق، في ترجمة، «محمد ابن عبد الرحمن بن زمل» برقم، (٦٦١٥)، والسيوطي في الجامع الصغير، ☜

(٢٣٣٦)، وعزاه إلى «الديلمي»، والمتقي الهندي في الكنز، (٩٠٣)، وعزاه إلى «ابن عساكر»، وابن رزقويه في «حديثه» بتحقيقي عن نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية.

وعند ابن ماجه في «أبواب السنة»، برقم، (٢٦٣)، وابن عاصم في «السنَّة»، (٩٩٤)، والآجري في «الشريعة»، (٥/ ١٩٩)، والمزي في تحفة الأشراف، (٣٠٥١)، عن جابر، قال: قال رسول الله – ﷺ -: «**إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كتم حديثا فقد كتم ما أنزل الله**».

وهذا حديث معلول:

قال أبو العباس البوصيري في مصباح الزجاجة، (١/ ٣٩)، «هذا إسناد فيه الحسين ابن أبي السري كذاب، وعبد الله بن السري ضعيف».

وقال أبو عبد الله البخاري في التاريخ الكبير، (٦٦٨)، «لا أعرف عبد الله، ولا له سماعًا من ابن المنكدر».

وقال الدارقطني في علله، (٣٢١٢): يرويه عبد الله بن السري، واختلف عنه.

فرواه خلف بن تميم، عن عبد الله بن السري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر.

ورواه محمد بن يحيى بن رزين، ويوسف بن بحر، عن عبد الله بن السري، عن سعيد بن زكريا المدائني، عن عنبسة بن عبد الرحمن، عن محمد بن زاذان، عن ابن المنكدر، وهو الصواب.

وعبد الله بن السري هو أنطاكي، وهو أصغر سنا من خلف بن تميم، وبينه وبين محمد بن المنكدر ثلاثة أنفس. اهـ.

وروى أصحاب السنن، أبو داود، (٣٦٥٨)، والترمذي، (٢٨٤٠)، وابن ماجه، (٢٦١)، وأحمد، (٧٥٧١)، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتي به يوم القيامة ملجما بلجام من النار».

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية، (١/ ٨٨) ،«باب إثم من سئل عن علم فكتمه»، ثم قال: «فيه عن ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وأبي سعيد

بجوده وكرمـه وأعانني على كتابة، مجموعة من القواعد العلميـة في علامـات

☜

وجابر وأنس وعمرو بن عبسة وأبي هريرة وطلق بن علي» ثم ذكر طرقها ولولا الخشية من الملل والضجر لذكرتها.

وقال المنذري في الترغيب والترهيب، (١/ ٧٠)، «الترهيب من كتم العلم».

وقال الحافظ ابن حجر الهيتمي، في الزواجر عن اقتراف الكبائر، (١/ ١٦٦)، ط: دار الحديث، «الكبيرة الرابعة والأربعون: كتم العلم».

قال المناوي في فيض القدير فش شرح حديث المتن، (١/ ٤٠٩)، قوله: « (وإذا ظهرت البدع) المذمومة كالوقيعة في الصحابة والطعن في السلف الصالح (ولعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم) بفضل الصدر الأول وما للسلف من المناقب الحميدة والمآثر الجميلة (فلينشره) أي يظهره بين الخاصة والعامة ليعلم الجاهل فضل المتقدم وينزجر عن قبيح قوله ويبين للناس ما أظهروه من الدين وأصلوه من الأحكام الذي استوجبوا به الإعظام ونهاية الإكرام (فإن كاتم العلم يومئذ) أي يوم ظهور البدع ولعن الآخر الأول

(ككاتم ما أنزل الله على محمد) فيلجم يوم القيامة بلجام من نار كما جاء في عدة أخبار. قال الغزالي: والعلماء أطباء الدين فعليهم أن يتكفل كل عالم منهم بقطره أو محلته فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعلمهم أمر دينهم ويميز البدعة من السنة وما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا يصبر حتى يسأل منه بل يتصدى للدعوة بنفسه لأنهم ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على دورهم فإن مرضاء القلوب لا يعرفون مرضهم فهذا فرض عين على كافة العلماء. »

قال الأوزاعي كما في شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، (ص٢٢): « إذا ظهرت البدع ، فلم ينكرها أهل العلم صارت سنة ».

وقيل للوليد بن مسلم: ما إظهار العلم؟ قال: «إظهار السنة».

أهل البدع، وكيفية التعامل معهم، وها أنا أضع قاعدة مهمة بين يدي القارئ تقرب له بعض الشيء إن شاء الله، عن الأصول التي أنكرت بها التشريعات، وعورض بها دين رب الأرض والسموات، فالله أسأل أن يجعلني وإيَّاك من الهداة إلى دينه، والدعاة إلى سنَّةِ نبيه ﷺ، إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه أبو إسحاق

عامله الله بستره وغفر له،

لعام ١٤٣٨في ١٨ من شهر ذي القعدة.

***

مدخل إلى الكتاب

اعلم وفقني الله وإيَّاك لكلِّ خير، وجعلنا للحق هداة مهديين، أنَّ غالب من يبتدع يتأول لبدعته آراء وأفكارًا يضحك بها على العامة يزين بذلك البدعة بين الناس؛ حتى تحظى بالقبول، وهذا داءٌ عضال وُجِدَ في معارضي الرسل، في الشبه التي يلقونها، والآراء التي يبتدعونها ضحكًا منهم على العامة.

قال يحيى بن معاذ الرازي(١) **رحمه الله تعالى**: «اختلاف الناس كلهم يرجع إلى ثلاثة أصول، فلكلِّ واحد منها ضد، فمن سقط عنه وقع في ضده: التوحيد وضده الشرك، والسنَّة وضدها البدعة، والطاعة وضدها المعصية»(٢)

وقال ابن الوزير الصنعاني رحمه الله تعالى: «الغالب على أهل البدع شدة

---

(١) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، الواعظ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة، ثم رجع إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ١٥)

(٢) الاعتصام للشاطبي، (ص٦٨)، ط: دار الحديث.

العجب بنفوسهم والاستحسان لبدعتهم»[١].

* **ومن هنا يتبين لنا**: أنَّ أخطر النَّاس على الدين هم أهل البدع، فهم آفة هذه الأمة ومرضها العضال، وداءها القتال، فبهم والله طعن الإسلام من قبل أهل النِّفاق، وجماعات أهل الإلحاد، وبسبب بعدهم عن السنَّة ومغالاتهم في الرجال، وقع البسطاء من النَّاس في الغلو وجنحوا به إلى الشرك بالله الكبير المتعال؛ وبسببهم تأخر ركب المسلمين وتخلَّف في بعض جوانب الحياة، وذلك لكثرة القيل والقال، التي حصل بسببها الفتن، وسالت من أجلها الدماء، وتفرق الناس فيها إلى أحزاب وجماعات، يعقدون عليها الولاء والبراء، ويمتحنون الناس بها، والسعيد عندهم، من وافق هواه هواهم، فإلى الله المشتكى.

✍ **فعن مقاتل بن حيان**-رحمه الله[٢]- **قال**: «أهل هذه الأهواء آفة أمة محمد ﷺ، إنَّهم يذكرون النَّبي ﷺ وأهل بيته فيتصيدون بهذا الذكر الحسن الجهال من الناس، فيقذفون بهم في المهالك، فما أشبههم بمن يسقي الصبر باسم العسل، ومن يسقي السم القاتل باسم الترياق، فأبصرهم، فإنك إلا تكن أصبحت في بحر الماء فقد أصبحت في بحر الأهواء الذي هو أعمق غورا،

---

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق، (٢/ ٣٠٧)، ط: مركز نجيبويه.

(٢) قال الذهبي عنه في السير، (٦/ ٣٤٠)، «الإمام، العالم، المحدث، الثقة، أبو بسطام النبطي، البلخي، حدث عن: الشعبي، ومجاهد، والضحاك، وعكرمة، وابن بريدة، وشهر بن حوشب، وسالم بن عبد الله، ومسلم بن هيصم، وعمر بن عبد العزيز، وعدة».

وأشد اضطرابا، وأكثر صواعق، وأبعد مذهبا من البحر وما فيه، فتلك مطيتك التي تقطع بها سفر الضلال اتباع السنة»(١).

✍ **وعن ميمون بن مهران، قال**: «إيَّاك وكل شيءٍ يسمَّى بغيرِ الإسلام»(٢).

✍ **وقال ابن الجوزي** رحمه الله، في «**صيد الخاطر**»: «اعلم أنَّ شرعنا مضبوط الأصول محروس القواعد لا خلل فيه ولا دخل، وكذلك ككلِّ الشرائع، إنَّما الآفة تدخل من المبتدعين في الَّدين أو الجهال».

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: «وأهل السنة في الإسلام، كأهل الإسلام في الملل، وذلك أنَّ كل أمَّة غير المسلمين فهم ضالون، وإنَّما يضلهم علماؤهم؛ فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى، وإنَّما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم، وكذلك أهل السنَّة، أئمتهم خيار الأمة، وأئمة أهل البدع أضرُّ على الأمةِ من أهل الذنوب، ولهذا أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج، ونهى عن قتال الولاة»(٣).

✍ **قال ابن قيم**: قال بعض السلف: «إنَّما حرموا الوصول بتضييع الأصول، فمن ضيع الأصول حرم الوصول»(٤).

---

(١) الاعتصام للشاطبي، (ص٦٤، ص٦٥).

(٢) الإبانة لابن بطة، (٢١١)، (١/ ١٠٢)، ط: دار الحديث.

(٣) انظر: كتاب الإيمان، (ص١٩١)، ط: دار الفكر-بيروت.

(٤) طريق الهجرتين، (٢٥٤)، ط: الدار السلفية.

وهذه حقيقة معلومة فكل من ترك الدليل، وقع في مصيدة الهوى، وصار عبدًا له، وهذا مشاهد ومعلوم في سير أهل البدع، فلا تكاد تنكر على مبتدع حتى يتأول لبدعته ولو كان النص صريح في المنع، أو عام في الأمر؛ وكل هذا التأويل إنَّما جاء من الهوى، ولا يكاد يذكر الهوى في القرآن إلا محذرًا منه، متوعدا لصاحبه بالعذاب والشقاء، والبعد والحرمان، والجزاء من جنس العمل.

واعلم أنَّ الشريعة واضحة لا غشاوة فيها، بينة لا تعقيد فيها، وما كان فيها من علم فأصل ذلك أن يرد إلى أهله من أصحاب الخشية الذين قال في وصفهم ربنا سبحانه، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣]، **وهم المعنيون بقوله**، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨]، **وكلُّ ذلك بنية** الامتثال لأمره سبحانه، فإنْ كان ممَّا اصطفى الله علمه ردَّ إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم السر وأخفى، ويترك الخوض فيه، فإن هذا أسلم وأحسن.

✍ **قال الشيخ ابن عثيمين** رحمه الله: «الحمد لله هذه الشريعة مبينة، ولكن خفاء بعض الأشياء على الإنسان له أسباب أربعة هي:

١-نقص العلم.

٢-قصور الفهم.

٣-التقصير في طلب العلم.

٤-سوء القصد.

فقد يكون الإنسان عنده سوء قصد فيحول بينه وبين التوفيق»(١).

واعلم يا أخي أنَّه يقع على طالب العلم، «محاربة الشرك بأنواعه، والسحر بأشكاله ووسائله، والأفكار المنحلة ومعاول الهدم، وعصابات الإلحاد، ودعاة العلمنة، وأهل الدياثة والتبرج، فضلًا عن محاربة الوضاعين الجدد الذين يكذبون ويحدثون الناس بلا علم ولا سند! ومثلهم أهل البدع الخرافية وجماعات الحج إلى القبور والمشاهد، وغيرها كثير، وهذا واجب شرعي لا مناص عنه ولا فرار منه، بل واجب الأمانة الشرعية التي أخذها الله تعالى على أهل العلم أن يبلغوه ولا يكتموه وتبليغه الذي تبرئ به الذمَّة ولو بالقليل، وتبليغ أهل الهمم ألا يمَّلوا وأن يضعوه في موضعه، وقد قيل زكاة العلم تبليغه ونصابه ولو آية، فشمر عن ساعد الجد وتوكل على الله، فالله خير حافظ وهو أرحم الراحمين».

ومن أكثر ما يدندن عليه أهل الابتداع في زماننا دعوتهم حب النبي ﷺ فيبتدعون أقوالًا زورًا، وكلامًا بهتانًا لا يعرف له أصل، ولم يقل بها سلف صالح، ومن نظر في الماضي والحاضر وجد أنَّ الأصول التي عورضت بها الشريعة، وانتشرت بسببها البدعة، أصول مجموعة من أشهرها ثلاثة أصول بسببها أنكرت التشريعات، بطريقة مباشرةٍ كانت أو غير مباشرة، فأقول مستعينًا بالله:

---

(١) شرح الأصول من علم الأصول، (ص٢٢١)، ط: دار الغد الجديد. في معرض كلامه، حول «المجمل والمبين».

[١] الأصل الأول: تحكيم العادات على التشريعات:

وهذه دعـوة قديمة، اشتهرت بمعارضة أهل الكفر للرسل في قبول دعوة التوحيد، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

فانظر: إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٧٠] هـذا أصل من أصول الدعـوة الربانية، دعـوة إلى الاستسلام والانقياد لشرع الله.

وانظر: إلى قول أهل الكفر في معارضـــة الحـق، ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ﴾ [البقرة:١٧٠] وهذه أصل دعـــوة أهـل الجاهليَّـــة، أنَّهـم يحكمـون العادات على التشريعات، وأصل هذا التحكيم نابع من التقليد الأعمى، الـذي يحجب صاحبه عن رؤية الحق واتِّباعه.

✍ **قال أبو عبد الله القرطبي** رحمه الله في تفسيره، «الجامع»: «تعلَّق قـوم بهـذه الآية في ذم التقليد لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل، واقتـدائهم بهم في الكفر والمعصية. وهذا في الباطل صحيح، أمَّا التقليد في الحـق فأصـلٌ من أصولِ الدين، وعصمة من عصم المسلمين يلجأ إليهـا الجاهـل المقصـر عن درك النظر. واختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصـول عـلى مـا يـأتي، وأمَّا جوازه في مسائل الفروع فصحيح»(١).

(١) انـظر: تفسير الجامـع لأحكام القرآن، (١/ ١٧٥)، ط: المكتبة التوفيقية.

وقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان:٢١].

✍ **قال البقاعي في** «تفسيره» في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القصص:٣٦].

قال في قوله: ﴿ مَّاسَمِعۡنَا ﴾، أي: الذي تقوله من الرِّسالة عن الله، ﴿ فِيٓ ءَابَآئِنَا ﴾ وأشاروا إلى البدعةِ التي قد أضلت أكثر الخلق؛ وهي تحكيم عوائد التقليد، ولا سيَّما عند تقادُمها»(١).

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠].

ومن نظر في زماننا هذا وجد أنَّه إذا ما أقدم رجل من النَّاس على إنكار بدعة ما، أو التحذير من مخالفة شرعيَّة، بطريقة حكميَّة، متبعًا بذلك قواعد السياسة الشرعيَّة، جُوبِه من قبل العامة، وبعض أدعياء العلم بأنَّهم قد فعلوها كابرًا عن كابر، وساروا عليها جيلًا بعد جيل! ومن هنا يتضح، لك صدق القول، بإنَّه «ما حارب الرسل إلا العادات» ومن بديع كلام الإمام ابن قيم ﷺ في المدارج، «وما عارض الكفار الرسل إلا بالعادات المستقرة

(١) (١٤/ ٢٩٢).

الموروثة لهم عن الأسلاف الماضين»(١).

وقد تنتشر هذه العادات:

بالتقليد.

أو بالوصاية عليها من الآباء إلى الأبناء.

وقد تدخل الدنيا في ذلك فيكون التقليد أكثر استحكامًا، وأقوى استفحالًا في المجتمع؟ وذلك لأنَّ الباعث في الغالب يكون لنيل غرض دنيوي، أو منصب في القوم وجاهي، فيتبادر الناس لفعلها مع علم البعض بإنَّها مخالفة وليست بصحيحة، ولكن شهوة الدنيا، وتزيين الشيطان المنكر للعبد، يجعل منه رهينًا لعادات سيئة لا يرضاها إلا صاحب عقل مريض، أو فطرة منحرفة مشوهة؛ كما قال: الحسن بن صالح ﷺ: «إنَّ الشيطان ليفتح للعبدِ تسعة وتسعين بابًا من الخير يريد به بابًا من الشر»(٢).

✍ **قال ابن حجر الهيتمي** ﷺ، في «**الزواجر**»: «ومنها-يعني مكائد الشيطان-: حمل العوام ومن لم يمارس العلوم على التفكر في ذات الله وصفاته»(٣).

---

(١) كتاب مدارج السالكين: (١/ ١١١) منزلة العبوديَّة.

(٢) ذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس، (ص٤٧)، «الباب الرابع، في معنى التلبيس والغرور.»، وأبو نعيم في الحلية، (٧/ ٣٣١).

(٣) انظره: مكائد الشيطان من الزواجر بعنايتي وتعليقي، مع كتابي مختصر تلبيس إبليس على الصوفية، يسر الله تمامه في القريب.

ومن أمثلة انتشار العادات بالتقليد، ما رواه الإمام أحمد في مسنده المسدد، عن أبي واقد الليثي(١) -رضي الله عنه- أنَّه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينيطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنَّها السنن قلتم-والذي نفسي بيده – كما قالت بنو إسرائيل لموسى.** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨] **لتركبنَّ سنّن منْ كان قبلكم**»(٢).

✍ **قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل- المعروف بأبي شامة** -في كتابه، «**الحوادث والبدع**»: «ومن هذا القسم ما قد عمَّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وسرج مواضع مخصوصة من كلِّ بلدٍ، يحكى لهم حاك أنَّه رأى في منامه بها أحدًا ممَّن شهر بالصلاح

---

(١) هو الصحابي الجليل: الحارث بن عوف بن أسيد بن جابر الليثي، أبو واقد قيل: إنه شهد بدرًا كما شهد الفتح وحنين، وكان يحمل راية قومه، كما شهد تبوك، واليرموك، توفي رضي الله عنه سنة (٦٨هـ)، وقيل: (٨٥ هـ) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢١٥، ٢١٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده، في مسند الأنصار، (٢١٨٩٧) وإسناده صحيح، وقال: الشيخ شعيب أخرجه البخاري تعليقا في «التاريخ الكبير»، (٤/ ١٦٣)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٤٠)، والطبري في «تفسيره»، (٩/ ٤٥-٤٦)عن طريق أبي صالح عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد. ورواية البخاري مختصرة بلفظ: «لتركبن سنن من قبلكم».

والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله، وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك. ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من بين عيون، وشجر وحائط، وحجر»(١).

كما أنَّه يسعى في صدّ من يحارب هذه العادات، ويصرفه عنها بشتى الحيل والمكائد(٢)، وقد يجعل له مصيدة إمَّا بمالٍ، أو بوعود كاذبة، وهذا معلوم في الجنَّ، كما أنَّ الله تعالى قد حكاه عن إبليس عدوّ الله، في وعوده الكاذبة التي أقسمها لآدم عليه السلام.

✍ **ومن ذلك ما رواه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»**، بإسناده، «عن الحسن قال كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال لأقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضبًا لله فلقيه إبليس في صورة إنسان فقال ما تريد؟

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله؟

قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها!

قال: لأقطعنَّها فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١١).

(٢) أخرج اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١/ ٥٥)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس، (ص١٠)، والسيوطي في مفتاح الجنة، (ص٤٤، ٤٤) ابن عباس رضي الله عنهما -قال (والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدا أحب إلى الشيطان هلاكا مني فقيل وكيف فقال والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة فترد عليه).

ديناران كلَّ يوم إذا أصبحت عند وسادتك.

قال: فمن أين لي ذلك قال: أنا لك فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثمَّ أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا فقام غضبًا ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته، وقال ما تريد؟

قال: أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى.

قال: كذبت! مالك إلى ذلك من سبيل فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله.

قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان جئت أول مرة غضبًا فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها! فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: «وكان عمر بن الخطاب إذا رآهم يتناوبون مكانًا يصلون فيه لكونه موضع نبي ينهاهم عن ذلك! ويقول: إنَّما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فيه فليصل(٢) وإلا فليذهب»(٣).

---

(١) تلبيس إبليس، (ص٤٠).

(٢) قال: محققه، هذه الواقعة ذكرها الطبري في كلامه عن فتح السوس في حوادث السنة السابعة عشر، كما ذكرها البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) في الكلام عن فتح السوس، ص [٠ - ٩] ٨٦ (الطبعة الأولى، القاهرة) ١٣١٩/ ١٩٠١.

(٣) منهاج السنة، (١/ ٤٨١).

✍ **وروى ابن وضاح في «البدع والنهي عنها»**: «قال: سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس يقول: «أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ ، فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها ، فخاف عليهم الفتنة»(١).

وهذه العادات، يتولد عنها نتائج خطيرة، قد بيَّن القرآن حقيقتها، وصوَّرها من خلال القصص القرآنية، ومشاهد الإعراض عن قبول الحق، فمن أخطر ما ينتج عن تحكيم تلك العادات الهائجة بلا أصول وضوابط معتبرة».

الإعراض عن الحق.

واتباع الهوى.(٢)

والجدل بالباطل.

واتهام المخالف بالتهم المعلبة، وتلقيبه بالألقاب المزيفة؟! وذلك بغية أن يتولد منها بعد النَّاس عن الحق وأهله، مع استخدام أسلوب الشائعات،

---

(١) انظره: برقم، (١٠٢) وفيه كلامًا رصينًا، ونقولًا جميلًا، ط: مكتبة العلم-جدة.

(٢) قال الإمام ابن قيم رحمه الله في رسالته إلى أحد إخوانه (ص٦)، «والغفلة عن الله والدار الآخرة متى تزوجت باتباع الهوى تولد ما بينهما كل شر وكثيرًا ما يقترن أحدهما بالآخرة ولا يفارقه.

ومن تأمل فساد أحوال العالم عمومًا وخصوصًا وجده ناشئًا عن هذين الأصلين:

فالغفلة تحول بين العبد وبين تصور الحق ومعرفته والعلم به فيكون من الضالين.

واتباع الهوى يصده عن قصد الحق وإرادته واتباعه فيكون من المغضوب عليهم»

وغير ذلك من الطَّامَّات، والله المستعان».

✍ **ومن الأمثلة على انتشار التقليد بحب الدنيا مع تقليد الأبناء للآباء.**

فأما الأول: فما رواه ابن هشام في «سيرته» في قصة عمرو بن لحي، وجلبه للأصنام إلى مكة.

✍ **قال ابن هشام** -رحمه الله-: «حدثني بعض أهل العلم: أنَّ عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشامِ في بعض أموره، فلمَّا قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئِذٍ العماليق-**وهم ولد عملاق. ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح**- رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا.

فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنمًا، فأسيرُ به إلى أرضِ العرب، فيعبدوه؟ فأعطوه صنمًا يقال له هبل! فقدم به مكة، فنصبه وأمر النَّاس بعبادته وتعظيمه»(١).

فهو قلَّد غيره لمَّا رأى أنّ في هذا التقليد نوعًا من الفائدة، وكم أفسدت الدنيا من الدين، حتى تزين بها أهل المنكر فأشبعوا قلوب العامة بالشهوات، وغزوا عقولهم بالشبهات، فكان عليهم الأمر سهلًا بأن يجعلوا قلوب من أفسدوه معهم، أينما توجهوا وحيثما حلوا.

ثمَّ انتشر هذا التقليد، **وهذا النوع الثاني** الذي حصل بتوارث الأبناء على ما

---

(١) (١/ ٧٧)، ط: مصطفى البابي، وانظر: السيرة النبويَّة الصحيحة، (١/ ٨٣)، لدكتور أكرم العمري، فقرة، بعنوان، «الحياة الدينية في مكة»، ط: مكتبة العبيكان.

كان يعتقده الآباء؛ إذ أنَّ البلاء قد عمَّ في البلاد، وانتشر الشرك فيها آنذاك، وعظمت القرابين لهذه الحجارة التي لا تضر ولا تنفع، وتورثها الناس جيلًا بعد جيل، حتى بعث الله نبيه محمدًا ﷺ، داعيةً إلى توحيد الله وإفراده بالعبودية والربوبية.

ولم يبقْ الأمر على ما فعله عمرو بن لحي بل صار هناك طقوس، ومن ذلك ما قاله ابن إسحاق-رحمه الله-: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أنَّ أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة-رضي الله عنه- يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لأكثم بن الجون الخزاعي: «**يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلًا أشبه برجل منك به، ولا بك منه**».

فقال أكثم: عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله؟

قال: «**لا، إنَّك مؤمن وهو كافر، إنَّه كان أولَّ من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة**(١)**، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي**».(٢)

---

(١) قال: محققه، «ويقال: إن أول من بحر البحيرة رجل من بنى مدلج، كانت له ناقتان، فجدع آذانهما، وحرم ألبانهما» (راجع الروض الأنف).

(٢) سيرة ابن هشام، (١/ ٧٦)، وروى البخاري في صحيحه، (١٢١٢)، بإسناده عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا، حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها عمرو بن لحي وهو الذي سيب السوائب**».

وقد نتج عن هذ التقليد، أنْ أصبح عدد الأصنام إلى يوم فتح مكة قرابة «(٣٦٠)» صنمًا.

وصارت هذه الأصنام تصنع صناعة محلية، بعد أن سنَّ عمرو بن لحيَّ الخزاعي، السنَّة السيئة بإحضاره لصنم هبل من الشام، وبعضها في أصله صار يعبد من دون الله وهو في أصله حجارة، «كأساف ونائلة»، هذا الذي حصل للعرب ممَّن كان يقطن في مكة وما حولها.

أمَّا بيوت الأوثان الأخرى فكانت تلقى من العناية الشركية، والقرابين الكفريَّة كما هو حاصل ببيت صنعاء، وبيت نجران، وبيت الأقصر، وغيرها، كالذي تلقاه الأصنام في مكة وأكثر؛ وذلك لأنَّ هذه العادات التي ظنَّها القوم عبادات، كانت تحصل بتنافس بينهم آنذاك، وكلّ هذه العبادات

☜

وروى أحمد بإسنادٍ ضعيف، وهو حسن بشواهده من حديثِ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « **إن أول من سيب السوائب، وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار**».

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١١٦)، وقال: رواه أحمد، وفيه إبراهيم الهجري، وهو ضعيف.

و«السوائب»: جمع سائبة، وقد فسرها سعيد بن المسيب فيما أخرجه البخاري (٣٥٢١)، قال: والسائبة: التي يسيبونها لآلهتهم، فلا يحمل عليها شيء.

وقال ابن الأثير: كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر، أو برء من مرجم، أو غير ذلك، قال: ناقتي سائبة، فلا تمنع من ماء ولا مرعى، ولا تحلب ولا تركب، وكان الرجل إذا أعتق عبدًا فقال: هو سائبة، فلا عقل بينهما ولا ميراث، وأصله من تسييب الدواب، وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت.

الباطلة ، إنما قائم على عادات متوارثة، وتقاليد متبادلة، عاش عليها الصغير، ومات عليها الكبير، ومع ذلك فإنَّ العرب كانوا من خير النَّاس، أخلاقًا ومعاملة، ونخوةٍ وشجاعة، وهذا معلوم من سيرة النَّبي ﷺ، وقصص القرآن، وليس هذا مجال للوقوف عليها، إذ أنَّ مظانها في كتب التاريخ والسير.

✍ **ويصدق فيهم قول الشاعر:**

وما أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد(١)

✍ **ومن خطر العادات على التشريعات،** ما ذكر في كتب السير، أنَّ وفدَ ثقيفٍ سألوا النبي ﷺ، رأيت الربة ماذا نصنع فيها؟

قال: «**اهدموها**».

قالوا: هيهات! لو تعلم الربة أنا نريد هدمها لقتلت أهلنا.

فقال عمر -رضي الله عنه-: ويحك يا بن عبد ياليل ما أحمقك إنَّما الربة حجر، قال: إنا لم نأتكِ يا ابن الخطاب. ثمَّ قال: يا رسول الله، تول أنت هدمها، فأمَّا نحن فلن نهدمها أبدًا.

قال رسول الله ﷺ: «**فسأبعث إليكم من يكفيكم هدمها**».

قال كنانة: ائذن لنا قبل رسولك ثمَّ ابعث في آثارنا، فإنَّي أعلم بقومي،

---

(١) وهو من شعر دريد بن الصمة الجشمي يرثي عبد الله أخاه قتله بنو عبس و«غزية» قبيلة من هوازن.

انظر: ديوان دريد بن الصمة الجشمي (ص ٤٧).

فأذن لهم رسول الله ﷺ وأكرمهم وحملهم.

قالوا: يا رسول الله، أمِّر علينا رجلًا يؤمنا، فأمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص لـمَّا رأى من حرصه على الإسلام، وقد كان علم سورًا من القرآنِ قبل أن يخرج.

ثمَّ لما قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ قد أمر عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة بن شعبة، فلمَّا قدموا عليهم عمدوا إلى اللات ليهدموها وانكفأت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لا يرون أنها تهدم ويظنون أنها ستمتنع.

فقام المغيرة بن شعبة وقال لأصحابه: لأضحكنكم من ثقيف فأخذ الكرزن فضرب بهط ثمَّ أخذ يرتكض فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا: أبعد الله المغيرة قد قتلته الربة! وفرحوا حين رأوه ساقطا وقالوا: من شاء منكم فليقترب ويجهد على هدمها فو الله لا تستطاع أبدًا.

فوثب المغيرة فقال: «قبحكم الله يا معشر ثقيف! إنما هي لكاع حجارة ومدر!»

ثمَّ ضرب الباب فكسره ثم علا على سورها وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجرًا حجرًا حتى سووها بالأرض وجعل صاحب المفاتيح يقول: «ليغضبن الأساس فليخسفن بهم».

فلمَّا سمع ذلك المغيرة، قال لخالد: دعني أحفر أساسها، فحفروها حتى أخرجوا ترابها وأخذوا حليها وثيابها. فبهتت ثقيف.

وانصرف الوفد إلى رسول الله ﷺ بحليتها وكسوتها فقسمه رسول الله ﷺ من يومه وحمد الله على نصر نبيه وإغزاز دينه.(١)

فانظر رحمني الله وإيَّاك إلى خطر العادات على التشريع، وضرر التقليد الأعمى على شريعة رب الأرض والسموات، فهل من متأمل؟

بل إنَّ خطر التقليد على الدين أن صاحبه يرى الباطل في بعض الأحيان، حقًا، وكم هو عظيم إذا تحرر العبد من ربقة التقليد، إلى اتباع الدليل.

ومن خير ما يذكر، ما رواه مسلم في: «**صحيحه**» عن أبي أمامة - رضي الله عنه -، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظنُّ أنَّ النَّاس على ضلالة، وأنَّهم ليسوا على شيءٍ وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جراء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**»،

فقلت: وما نبي؟ قال: «**أرسلني الله**».

فقلت: وبأي شيء أرسلك.

قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**».

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي، (٥/ ٣٠٤،٣٠٥)، ط: دار الكتب العلمية، وانظر مغازي موسى بن عقبة، (ص٣٩٨، ٣٩٩)، ط: مكتبة دار المنهاج، تحقيق د. محمد الحسين باقشيش، ونال بها الماجستير.

قلت له: فمن معك على هذا؟

قال: «**حر، وعبد**».

قال: ومعه يومئذ أبو بكر، وبلال ممن آمن به.

فقلت: إني متبعك، قال: «**إنَّك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني**».

قال: فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: «**نعم، أنت الذي لقيتني بمكة**»، قال: فقلت: بلى».

✍ **وأخطر أنواع العادات، ما كان فيه تقليدًا وتشبهًا باليهود والنصارى،** وهو واقع لا محالة، كما أخبر به الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فقد أخرج البخاري في كتاب الأنبياء، قال رحمه الله، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا أبو غسان، قال: حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**»، قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى قال: «**فمن**»؟(١).

(١) كتاب: «صلاة المسافرين وقصرها»، «باب إسلام عمرو بن عنبسة»، (٨٣٢) ورواه ☜

✍ **وأخطر ما يكون هذا التقليد، إذا كان له دعاة متعالمين يفتون فتاوى شاذة**، ويحكون حكايات كاذبة، يرضون بها أعداء الله، ليأخذوا بذلك شيءً من غرضِ الدنيا الزائل.

وقد قيل «العلماء غرباء لكثرة الجهال»(١).

✍ **قال الإمام مالك** رحمه الله: «إذا قل العلمُ ظهر الجفاء، وإذا قلت الآثار كثرت الأهواء»(٢).

وقد صور هذا المشهد برمته العلامة المحدث أحمد شاكر فقال: «ولم يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا -أعني في تحريم التشبه بالكفار- حتى في هذه العصور المتأخرة، فنبتت في المسلمين نابتة ذليلة مستعبدة، هجيراها وديدنها التشبه بالكفار في كل شيء، والاستخذاء لهم والاستعباد، ثم وجدوا من الملتصقين بالعلم المنتسبين له، من يزين لهم أمرهم، ويهون عليهم أمر التشبه بالكفار في اللباس والهيئة والمظهر والخُلُق وكل شيء، حتى صرنا في أمة ليس لها من مظهر الإسلام إلا مظهر الصلاة والصيام والحج، على ما أدخلوا فيها من بدع بل من ألوان من التشبه بالكفار أيضًا، وأظهر مظهر يريدون أن يضربوه على المسلمين هو غطاء الرأس الذي

أحمد في مسند أبي هريرة رضي الله عنه: (١٦/ ٤٨٣) مكررًا، والحاكم في المستدرك: (١/ ٩) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والبغوي في شرح السنة: (١٤/ ٣٩٢)، والقرطبي في تفسير سورة التوبة:(٨/ ٢٠١).

(١) أدب الدين والدنيا، (ص٤٨)، ط: التوفيقية.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، (١/ ٢٧١).

يسمونه القبعة «البرنيطة»، وتعللوا لها بالأعاليل»(١).

✍ **قال الذهبي** رحمه الله في «تشبيه الخسيس»: وقد زين الشيطانُ ذلك لكثير من الجهلة، والعلماء الغافلين، -ولو كان منسوبًا للعلم، فإن علمه وبالُ عليه، كما قال ﷺ: «**أشدُ النَّاسِ عذابًا يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه الله بعلمه، وكلَّ من علم شيئًا وعمل بخلافه عاقبهُ الله يومَ القيامة**»(٢).

✍ **وبسبب هذا التقليد، تعم الغربة، كما قال تاج الدين الفاكهاني رحمه الله تعالى في «المورد»**(٣)، ولله درُّ شيخنا القشيري رحمه الله(٤) تعالى حيث يقول فيما أجزناه:

قد عرف المنكر واستنكر الـ ... معروف في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدة ... وصار أهل الجهل في رتبة(٥)

---

(١) انظر: حكم الجاهلية، (ص٢٢٥)، الطبعة الرابعة.

(٢) انظر، تشبيه الخسيس بأهل الخميس، للذهبي، (ص١٧)، تحقيق الشيخ مشهور حسن.

(٣) (ص١٣).

(٤) إسحاق بن عيسى القشيري، أبو هاشم، ويقال: أبو هشام البصري، وقيل: البغدادي، ابن بنت داود بن أبي هند، خازن مكة رأى جده داود بن أبي هند.
قال أبو حاتم: شيخ. وقال الحسن بن الصباح: من خيار الرجال. وقال الخطيب: نزل مكة، وجاور بها، وكان ثقة.
روى له أبو داود في «المراسيل. (٢/ ٤٦٦) انظر: «تهذيب الكمال»، وهو برقم: (٣٧٥).

(٥) صح عن ابن مسعود موقوفًا، وهو مرفوع إلى النبي ﷺ حُكْمًا، أنه قال: «**كيف أنتم**

حادوا عن الحق فما للذي... سادوا به فيما مضى نسبة
فقلت للأبرار أهل التقى... والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد... أتت نوبتكم في زمن الغربة

ومع تقليد أهل الإسلام لأهل الكفر تزداد المحن، وتُتْرَك السنن، وتضيع الفرائض، ولا يُعرف من الدين إلا رسمه، وأمَّا أصله فيكون مهجورًا إلا ممَّن نجاه الله تعالى وعافاه، كما جاء في صحيحِ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بإسناده عن الزهري، يقول: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: «لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت»(١).

وخرج الإمام أحمد في «**مسنده**» من حديث عثمان بن سعد، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ما أعرف شيئًا ممَّا عهدت مع رسول الله ﷺ

إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، إذا ترك منها شيء» قيل: تركت السنة؟ قالوا: ومتى ذاك؟ قال: «**إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت قُراؤكم، وقَلَّت فقهاؤكم، وكَثُرت أمراؤكم، وقلَّتْ أمناؤكم، والتُمِسَتِ** الدنيا بعمل الآخرة، وتُفُقِّهَ لغير الدين».

رواه الدارمي (١/ ٦٤) بإسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن، والحاكم، (٤/ ١٤٥) وغيرهما، وصححه الشيخ الألباني في قيام رمضان.

(١) كتاب مواقيت الصلاة، باب تضيع الصلاة عن وقتها، رقم، (٣٠٥) بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.

ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم، رقم(٢٣٣٩) وبرقم(٢٤٠٠)، عن الحسن رحمه الله قوله: «لو خرج عليكم أصحاب رسول الله ﷺ ما عرفوا منكم إلا قبلتكم».

اليوم. قيل له: ولا الصلاة؟ قال: أوليس قد علمت ما صنع الحجاج في الصلاة(١)

وروى البخاري، من حديث أم الدرداء -رضي الله عنها- قالت: «دخل علي أبو الدرداء -رضي الله عنه-، وهو مغضب فقلت: ما أغضبك؟ فقال: «والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئًا إلا أنهم يصلون جميعًا.

✍ **قال الحافظ في «الفتح»**: «وكأن ذلك صدر من أبي الدرداء في أواخر عمره، وكان ذلك في أواخر خلافة عثمان، فياليت شعري، إذا كان ذلك العصر الفاضل بالصفة المذكورة عند الدرداء، فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات، إلى هذا الزمن»(٢)

✍ **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما في هذه الآية أنَّه قال: ما أشبه الليلة بالبارحة، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم؟

✍ **وعن ابن مسعود** رضي الله عنه، أنه قال: «أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتًا وهديًا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير أنَّي لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟»(٣).

✍ **قال ابن القيم** رحمه الله: «وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل

---

(١) فتح الباري لابن رجب الحنبليَّ، (٤/ ٢٢٩)، ط: دار الحرمين.

(٢) فتح الباري، (٢/ ١٣٨)، ولي رسالة بعنوان «غربة ثانية» يسر الله إتمامها، وهذه النصوص التي يدخل فيها الشيعة الرافضة في الطعن بالسنة النبوية، وقد رد عليهم ولله الحمد.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، (١/ ١٢٥).

وخفاء العلم، فصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس، وظهر الفساد في البرِ والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمديَّة بالحق قائمين، ولأهل الشركِ والبدع مجاهدين، إلى أنْ يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»(١).

✍ **ومن أخطر أنواع التقليد ما يكون عصبية وحمية**، ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية، قال سيف بن عمر، عن خليد بن ذفرة النمري، عن عمير بن طلحة، عن أبيه أنه جاء إلى اليمامة فقال: أين مسيلمة؟

قالوا: مه، رسول الله.

فقال: لا، حتى أراه.

فلما جاءه قال: أنت مسيلمة؟

فقال: نعم. قال: من يأتيك؟

قال: رحمن. قال: أفي نور أم في ظلمة؟

فقال: في ظلمة. فقال: أشهد أنك كذاب وأنَّ محمدًا صادق، ولكن كذَّاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر. واتبعه هذا الأعرابي الجلف، لعنه الله، حتى قتل معه يوم عقرباء، لا رحمه الله (٢).

---

(١) زاد المعاد، (٣/ ٤٤٣).

(٢) (٩/ ٤٧٥)، ط: هجر.

وأبو طالب خير مثالٍ على خطر التقليد والتعصب، وهو في سكراته قال كلامًا لو أتبعه بالعمل لكان من الناجين!!

ولقد علمت بأن دين محمد... من خير أديان البرية دينًا
لولا الملامة أو حذار مسبةٍ... لرأيتني سمحًا بذاك مُبيِّنًا(١)

✍ **ونحن نقول للقوم في خلاصة الحديث**، إنَّنا لا ننكر العرف كمصدر أصولي معمول به لدى جماعة من الفقهاء، وذلك شرط ألا يخالف هذا العرف شيئًا من الأصول الأصلية المتفق عليها، وألا يصبح عقيدة تعارض الشرع، وإلا فهو عرف ملغيّ!

✍ **قال الإمام أبو الحسن الأشعري** رحمه الله: «أما بعد فإنَّ كثيرًا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلًا لم ينزل به الله سلطانًا، ولا أوضح به برهانًا ولا نقلوه عن رسول ربِّ العالمين ولا عن السلف المتقدمين وخالفوا روايات الصحابة رضي الله عنهم عن نبي الله ﷺ في رؤية الله ﷻ بالأبصار وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات وتواترت بها الآثار وتتابعت بها الأخبار وخالفوا روايات الصحابة رضي الله عنهم عن نبي الله ﷺ في رؤية الله ﷻ بالأبصار وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات وتواترت بها الآثار وتتابعت بها الأخبار.....»(٢).

---

(١) انظر: البداية والنهاية، (٣/ ٤٢)، وسمط النجوم العوالي، (١/ ٣٩٤).

(٢) الإبانة، (ص٦٧-٦٨)، ط: دار البصيرة.

وتأمل خطر التقليد إذا تزوج بحب الهوى ماذا ينجب من أمراض ويسبب من اختلافات وافتراقات في جماعة المسلمين، فوجب الحذر من الهوى وتجنب التقليد الأعمى وسؤال أهل العلم وأخذ العلم الصحيح بعيدًا عن حظوظ النفس واتباع الشهوات.

ومن أجمع الشروط في جواز التقليد وإن كان هذا المبحث قد أشبع في كتب الأصول، قديمًا وحديثًا في جوانبه بحثًا وتأصيلًا فمن أجمع واخصر ما قيل فيه، ما قاله: أبو علي الطبري رحمه الله «**فرضه اتباع عالمه بشرط أن يكون عالمه مصيبًا، كما يتبع عالمه بشرط ألا يكون مخالفًا للنَّص**»(١) .

✍ **قلت:**

فجعل القيد: بكون شيخه مصيبًا، فكلامه مبني على الراجح.

والثاني: بأن يكون كلامه موافقًا للنَّص، مبنيًا على اتباع الهدي.

✍ **قال ابن قيم:** «المرتبة الثانية من البصيرة البصيرة في الأمر والنهي، وهي تجريده عن المعارضة بتأويل، أو تقليد، أو هوى، فلا يقوم بقلبه شبهة تعارض العلم بأمر الله ونهيه، ولا شهوة تمنع من تنفيذه وامتثاله والأخذ به، ولا تقليد يريحه عن بذل الجهد في تلقي الأحكام من مشكاة النصوص.

وقد علمت بهذا أهل البصائر من العلماء من غيرهم»(٢).

اللهم نسألك بصيرة تخرجنا فيها من الظلامات إلى النور، ومن الجهل

---

(١) الفقيه والمتفقه، (٢/ ١٢٧).

(٢) مدارج السالكين،(١/ ٩٦)، ط: التوفيقية.

إلى العلم، إنَّـك على كلِّ شيءٍ قـدير.

[٢] الأصل الثاني: تحكيم العقل على مسائل الشرع:

وقد اشتهر بذلك من عارض الشرع مستمسكًا بحججٍ واهيات، فردَّ الله كيد هؤلاء الظلمة بالآيات الشرعيَّة والكونية، وقد فسر هذه الآيات سنة النبي ﷺ.

فإنَّ من أقسام السنة «السنَّة المفسرة»(١)، مع ثبوتها ثبوتًا علميًا لدى أصحاب المنهج العقلي(٢).

الذين هم أكثر ما ظهر منهم المعارضة للشريعة عامة، وللسنَّةِ التي يشتغل المستشرقين في وضع العراقيل والشبه في وجه العامة والخاصة، وغالب ما يعتمد عليه هؤلاء وغيرهم، وخصَّ بذلك النفاة للصفات، «**دعوى كاذبة، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، أو التمسك بألفاظ مشتركة بين معان**

---

(١) قال: أمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله، «السنة تفسر الكتاب، وتعرف الكتاب وتبيِّنه» انظر: الكفاية للخطيب، «باب تخصيص السنة لعموم القرآن» (ص٢٤)، ط: الرسالة، وانظر ذلك في إعلام الموقعين، والرسالة للشافعي.
ومن كلام أبي حفص عمر رضي الله عنه: (يا أيها الناس ردوا الجهالات إلى السنة) انظر: سنن البيهقي الكبرى، (١٥٥٤٥)، (٧/ ٧٢٦)، وذكره البخاري في خلق أفعال العباد، (٢/ ١١٨)، ط: دار أطلس الخضراء، بلفظ، «أمر عمر أن ترد الجهالات إلى السنَّة»، وذكره شيخ الإسلام، في الاستقامة، (١/ ١٠)، ط: دار الحديث.

(٢) أو ما يسمون، «بالمدرسة الإصلاحية، أو أصحاب التطوير والتجديد، أو دعاة عصرنة الإسلام..».

يصحّ نسبتها إلى الله تعالى ومعان لا يصح نسبتها إليه».(١)

✍ **قال أبو إسحاق الشاطبي** رحمه الله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧] ليس لهم هوى يقدمونه على أحكام الأدلة؛ فلذلك ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾، ويقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، فيتبرؤون إلى الله ممَّا ارتكبه أولئك الزائغون؛ فلذلك صار أهل الوجه الأول: محكمين للدليل على أهوائهم، وهو أصل الشريعة؛ لأنَّها إنما جاءت لتخرج المكلف عن هواه حتى يكون عبدا لله.

وأهل الوجه الثاني: يحكمون أهواءهم على الأدلة حتى تكون الأدلة في أخذهم لها تبعًا، وتفصيل هذه الجملة قد مر منه في كتاب المقاصد، وسيأتي تمامه في كتاب الاجتهاد بحول الله تعالى»(٢).

فهؤلاء الذين يدعون أنَّهم يتبعون ما يوافق العقل، هم من أبعد الناس عن فهم مدارك العقل!

ونحن عندما نسميهم بالعقلانيين، لا مدح لهم! بل لأنَّهم هم يتسمون بذلك، ولو كانوا أهل عقول، ما كان هذا حالهم، ولا كانت تلك مقالتهم، **ولذلك قال عامر بن قيس** رحمه الله: «إذا عقلَك عقلُك ما لا ينبغي فأنت

---

(١) باختصار عن كتاب فتح رب البرية بتلخيص الحمويَّة، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله، (ص٤٠).

(٢) انظر: الموافقات، (٣/ ٢٩٠)، ط: دار عفان، تحقيق الشيخ مشهور حسن (حفظه الله).

عاقل»(١).

✍ **وقال بعضهم**: «لا أسميه عاقلًا حتى يكون خيرًا ديِّنًا؛ لأنَّ الخير والدين من موجبات العقل، فأمَّا الشرير فلا أسمِّيه عاقلًا، وإنَّما أسميه رويَّة وفكر»(٢).

✍ **ولشيخ شيوخنا المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني** ﷺ كلامًا نفيسًا في الباب إذ يقول: «نحن نعلم يقينًا أنَّ الله ﷻ حينما يكلم النَّاس بكلامه إنَّما يخاطب العقلاء، ويخاطب العلماء، ويخاطب الذين يتفكرون، ولكننا نعلم أنَّ العقل البشري مختلف! فالعقل عقلان، عقل مسلم، وعقل كافر، هذا العقل الكافر ليس عقلًا، فقد يكون ذكاء ولكن لا يكون عقلًا، لأن العقل في أصل اللغة العربيَّة هو الذي يعقل صاحبه، ويربطه، ويقيده أن ينفلت يمينًا وشمالًا» اهـ.(٣).

✍ **ولهذا فإنَّنا نقول**: ليس كلُّ ما لا يسع العقل فهمه ينبغي نفيه؛ وذلك لأنَّ العقل حيزه صغير، ومداركه مشاهدته في عالم الشهادة، التي أدواته الحس، بخلاف ما جاء من أدلة الشرع، التي مصدرها الوحيين الكتاب والسنَّة، فإنَّه أوسع وأشمل؛ وذلك لأنَّها تخبر عن أشياء واقعية، ومداركها في

---

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي الشافعي، (ص١١).

(٢) نفس المصدر، (ص٢٠).

(٣) قال: ابن الجوزي ﷺ: «أما اشتقاق هذا الاسم أعني «العقل» فقال: ثعلب: أصله الامتناع، يقال: عقلت الناقة إذا منعتها من السير، وعقل بطن الرجل إِذا أحبس» انظر: الأذكياء، (ص١٧)، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز.

عالم الغيب الذي لا يعلمَ ما فيه إلا الله، وهذا ما أقرَّ به العرب معترفين بنبوة النبي ﷺ، والإذعان له، والانقياد بما جاء به، فإنَّه أخبر عن أشياء لا يعلمها إلا الله، وتكلم عن قصص لا يقولها ساحر أو كاهن، فآمن به من العرب ساحرهم وشاعرهم، وأديبهم وطبيبهم، مشركهم وكتابيهم، ولم يمنع بقية القوم، إلا الكبر والحمق، كما هو مشاهد في اليهود، وقصة عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وكشف كذبهم وبهتهم للنبي ﷺ معلومة، في كتب الحديث والسير، وكذلك أهل الكبر ممَّن عميت بصائرهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل.

وهذه المعارضة، قد ظهرت بحجج المتكلمين، الذين جعلوا من الكلام علمًا، ومن المنطق[1] حكمة، وقالوا: «مذهب السلف أسلم،

---

(١) والمنطق: مجموعة من نظريات وقوانين مقتبسة من فلسفات عدة، «كالرومية، واليونانية، والهندية، والفارسية، وغيرها، وأهم تلك الفلسفات، الفلسفات الرومية؟! لأن الروم هم الأصل في ذلك، وغيرهم كالعيال لهم، وقد كان المنطق متفرقًا مبثوثًا، تكلم فيه الفلاسفة الأوائل، دون تهذيب لطرقه، وجمع لمسائله إلى أن جاء أرسطو اليوناني، فهذب مباحثه، ورتب مسائله وفصوله، فاعتُبر أنَّه أول من ألَّف في المنطق، بوصفه عِلمًا قائمًا بذاته، وسمَّته الفلاسفة لذلك بالمعلم الأول). انتهى من كتاب، «تحذير الأنام من علم الكلام»، لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل، (ص٥،٦)، ط: مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة حرسها الله، وانظر كتاب زغل العلم للذهبي رحمه الله، (ص٤٠) في التعريف بالمنطق، وانظر في هذا الباب بتوسع لكتاب السيوطي صون المنطق، (ص٢٩-٤٥)، وفقرة بعنوان، «أول من مزج كتب الأصول بالمنطق»، ط: مجمع البحوث.

☜

ومذهب الخلف أعلم!» وأنَّى يكون ذلك وهل يتكلم بذلك عاقل فإنَّ هذا الكلام لا يقوله إلا جاهل، أو صاحب هوى، كما قال برهان الإسلام الزرنوجي، «أهل الضلالة أعجبوا برأيهم وعقلهم وطلبوا الحق من المخلوق العاجز وهو العقل، لأن العقل لا يدرك جميع الأشياء كالبصر، فإنه لا يبصر جميع الأشياء فحُجبوا وعجزوا عن معرفته، وضلَّوا وأضلوا»(١).

وقد رد عليهم العلماء، وفطاحلة أهل السنة والجماعة من أهل العلم عامة وأصحاب الحديث خاصة على مر التاريخ فناظروهم، وهجروهم وفضحوا أمرهم، وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني ثـمَّ الدمشقي(٢)

☜ ذكر الذهبي في سيرة، يحيى بن عمار، في سير أعلام النبلاء (٣١٨).

✍ **قال أبو إسماعيل: سمعت يحيى بن عمار يقول:**

العلوم خمسة؛ علم هو حياة الدين وهو علم التوحيد.

- وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر.
- وعلم هو دواء الدين وهو الفقه.
- وعلم هو داء الدين وهو أخبار ما وقع بين السلف.
- وعلم هو هلاك الدين وهو الكلام.

(١) تعليم المتعلم للزرنوجي، (ص١٠٧)، ط: المكتب الإسلامي.

(٢) ولد عليه رحمات الله، سنة (٦٦١) وتوفي ﷺ بدمشق سنة (٧٨٢هـ) قال ابن حفص البغدادي المتوفى سنة(٧٤٩) في الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، (أما مولده فكان كما أخبرني به غير واحد من الحفاظ انه ولد في حران في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة وبقي بها إلى أن بلغ سبع سنين ثم انتقل به والده ﷺ إلى دمشق المحروسة فنشأ بها أتم إنشاء وازكاه وأنبته الله أحسن النبات واوفاه وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة ودلائل العناية فيه واضحة أخبرني من ☜

رسالته «**المسمَّى بالفتوى الحمويَّة**»،(١) فجزاه الله عن الإسلام وأهل السنَّة والجماعة خير الجزاء.

أثق به عمَّن حدثه.)«

* ومدينة حران، هي مدينة قديمة جدًا، تقع في شمال شرقي الجزيرة السورية، بالقرب من منابع نهر البليخ» أحد روافد نهر الفرات، على خط طول «٣٩» شرقًا وعرض «٣٧» شمالًا وغربي رأس العين-وهي أحد مدن الحسكة حاليًا-وشمالي مدينة-الرقة-وإلى جنوب غرب الرها ويقرب عمرها الآن أكثر من ثلاثة آلاف سنة.

قال العلامة بكر أبو زيد في المدخل لآثار شيخ الإسلام، (ص١٦): (الحراني، نسبةً إلى بلدة مشهورة في الجزيرة بين الشام والعراق، ليست هي بقرب دمشق! ولا التي في تركيا، ولا التي بقرب حلب).

(١) قال: شيخ الإسلام في الحمويَّة، (ص١٨٦-١٨٤)، ط: دار المنهاج، «لا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن «طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضّلون طريقة الخلف على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف».

✍ **وقد قال الإمام ابن قيِّم[١] عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:** «قال لي شيخنا مرة في وصف هؤلاء: أنَّهم طافوا على أرباب المذاهب ففازوا بأخسِّ المطالب ويكفيك دليلًا على أنَّ هذا الذي عندهم ليس من عند الله ما ترى فيه من التناقض والاختلاف ومصادمة بعضه لبعض قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]، وهذا يدلُّ على أن ما كان من عنده سبحانه لا يختلف وأنَّ ما اختلف وتناقض فليس من عنده وكيف تكون الآراء والخيالات وسوانح الأفكار دينا يدان به ويحكم به على الله ورسوله سبحانك هذا بهتان عظيم.

وقد كان علم الصحابة الذي يتذاكرون فيه غير علوم هؤلاء المختلفين الخراصين كما حكى الحاكم في ترجمة أبي عبد الله البخاري قال: «كان أصحاب رسول الله إذا اجتمعوا إنَّما يتذاكرون كتاب ربهم وسنة نبيهم ليس

---

(١) ابن قيم هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي-نسبة إلى أزرع احدى قرى حوران-الدمشقي الحنبلي، ولد سنة، (٦٩١هـ).
اشتهر بابن قيم، ومنهم من يتجوز فيقول، (ابن القيم) وهو الأكثر لدى المتأخرين، ومنهم من غلظ فقال (ابن الجوزي) وهو نادر، وعلى اللفظ الأول (ابن قيم) درج عليه أهل التحقيق، أمثال، ابن رجب والصفدي، وابن كثير، والذهبي، كما ذكره الشيخ بكر عبد الله أبو زيد، وعلى الثاني، (ابن القيم)، درج لدى بعض العلماء، كابن حجر العسقلاني، والسيوطي، وعلى الثالث، (ابن الجوزي)، فهو عبث من الوراقين.
وانظر: ابن قيم الجوزيَّة سيرته، منهجه، وآراؤه في الإلهيات، بقلم الدكتور محمد ابن أنور السنهوتي، ط: جامعة الإمام، (ص١١، ١٢) باختصار عنه.

بينهم رأي ولا قياس»

✍ **ولقد أحسن القائل:**

الْعلـــم قَـــالَ الله قَـــالَ رَسُـــوله ... قَـــالَ الصَّـــحَابَة لَـــيْسَ بالتمويـــه
مَـا الْعلـم نصـبك للْخـلاف سـفاهة ... بَـــين الرَّسُـــول وَبَـــين رَأْي فَقِيـــه
كـــلا وَلَا جحـــد الصِّـــفَات ونفيهـــا ... حـــذرًا مـــن التَّمْثِيـــل والتشـــبيه(١)

✍ **وسئل أمير المؤمنين في الحديث، سفيان الثوري** ﷺ عن الكلام فقال: «دع الباطل، أين أنت عن الحق، اتبع السنة، ودع البدعة»(٢).

✍ **وقال إمام دار الهجرة مالك بن أنس** ﷺ: «لو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام، ولكنه باطلٌ يدل على باطلٍ»(٣).

✍ **قال أبو يوسف** ﷺ **لبشر المريسي «الزنديق»**: طلب العلم بالكلام هو الجهل والجهل بالكلام هو العلم وإذا صار رأسًا في الكلام قيل زنديق أو يرمى بالزندقة يا بشر بلغني أنك تتكلم في القرآن إن أقررت أن لله علما خصمت وإن جحدت العلم كفرت»(٤).

---

(١) انظر: الفوائد لابن قيّم، (ص١٠٥)، ط: دار الفكر.
(٢) شرح السنة للبغوي، (١/ ٢١٧)، والأمر بالاتباع للسيوطي، (ص٧٠)، ط: دار ابن القيم.
(٣) شرح السنة للبغوي، (١/ ٢١٧)، والآداب الشرعية لابن مفلح، (١/ ٢٢٧)، الأمر بالاتباع للسيوطي، (ص٧٠).
(٤) شرح السنَّة للبربهاري.

✍ **وثبت عن الحسن البصري ﷺ أنَّه قال:** «لقد تكلم مطرف على هذه الأعواد بكلام ما قيل قبله ولا يقال بعده. قالوا: وما هو يا أبا سعيد؟ قال: «الحمد لله الذي من الإيمان به: الجهل بغير ما وصف به نفسه» (١).

✍ **وروى الهروي في «ذم الكلام»، وابن قدامة في «ذم التأويل»:** «عن نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة ﷺ، ما تقول فيما أحدث النَّاس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثرِ وطريق السلف، وإياك وكل محدثة، فإنها بدعة.(٢)

✍ وأنصحك أيَّها الأخ المسدد -**بإذن الله**- أن تطالع في رسالة الإمام الحافظ الزاهد ابن رجب الحنبلي، المسمَّى، «فضل علم السلف على علم الخلف»، فإنَّ فيها خيرًا عظيمًا.

واعلم أنَّ كثير من العامة عندما يعظمون رؤوس أهل البدع ويجلونهم، فإنَّ سبب ذلك جهلهم بخطر مقالتهم، وتقليدًا لمن يجلهم ممَّن هم حولهم، وكثيرًا ما يفتن بعض هؤلاء العامة بشكل هؤلاء الرؤوس، وبحشود الناس للقياهم والسماع منهم.

✍ **كما قال الحافظ ابن رجب الحنبليّ طيب الله ثراه:** «فيجب أن يعتقد أنَّه ليس كل من كثر بسطة للقول وكلامه في العلم كان أعلم ممَّن ليس كذلك.

---

(١) انظر: ذم التأويل، (ص٢٤)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام، (٤/ ١٠)، قوله، ثبت عن الحسن» هذه في «مجموع الفتاوى»، وفي ذم التأويل لابن قدامة، بلفظ «روي»

(٢) ذم التأويل، (٣٣)، وصون المنطق، (٣٢).

وقد ابتلينا بجهلةٍ من النَّاس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنَّه أعلم ممَّن تقدم. فمنهم من يظنُّ في شخصٍ أنَّه أعلم من كلَّ من تقدم من الصحابة، ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله.

ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين. وهذا يلزم منه ما قبله لأنَّ هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولًا ممَّن كان قبلهم فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممَّن كان أقلُّ منهم قولًا بطريق الأولى. كالثوري والأوزاعي والليث. وابن المبارك. وطبقتهم. وممن قبلهم من التابعين والصحابة أيضًا.

فإنَّ هؤلاء كلَّهم أقلُ كلامًا ممَّن جاء بعدهم وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالحِ، وإساءة ظنٍّ بهم، ونسبته لهم إلى الجهل، وقصور العلم ولا حول ولا قوة إلا باللَه. ولقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة، «أنَّهم أبرُّ الأمة قلوبًا. وأعمقها علومًا. وأقلها تكلفًا(١).

وروي نحوه عن ابن عمر أيضًا. وفي هذا إشارة إلى أن من بعدهم أقل علومًا وأكثر تكلفًا»(٢).

---

(١) رواه ابن قدامة في ذم التَّأويل، (ص٣٢) ط: الدار السلفيَّة، بتحقيق الشيخ، بدر البدر، وقال: في تحقيقه عنه، أخرجه ابن عبد البر، في جامع بيان العلم، (٢/ ٩٧)، وفي إسناده انقطاع بين ابن مسعود وبين الراوي عنه، وهو قتادة، فهو لم يسمع منه كما في التهذيب، قلت: ورواه ابن قدامة في نفس الكتاب، برقم، (٦٣).
وأخرجه الشاطبي في الموافقات، (٤/ ٤٥٩)، ط: دار ابن عفان.

(٢) انظر: بيان فضل علم السلف على الخلف، (ص٦٥)، ط: دار البشائر الإسلاميَّة،

✍ **وقال الشوكاني** رحمه الله: «وقد كثر هذا الصنع من جماعة يبرزون في معرفة مسائل الفقه التي هي مشوبة بالرأي إن لم يكن هو الغالب عليها ويتصدرون لتعليم الطلبة لهذا العلم ثمَّ تكبر أنفسهم عندهم لما يجدونه من اجتماع الناس عليهم، وأخذ العامة بأقوالهم في دينهم فيظنون أنهم قد عرفوا ما عرفه النَّاس وظفروا بما ظفر به علماء الشريعة المتصدرون للتأليف والكلام على مسائل الشريعة فيجمعون مؤلفات هي ممَّا قمشت وطن حبل الحاطب صنع من لا يدري لمن لا يفهم، ثمَّ يأخذها عنهم من هو أجهل منهم وأقصر باعًا في العلم فينشر في العالم وتظهر في الملة الإسلامية فاقرة من الفواقر وقاصمة من القواصم»(١).

وهذا الحال شبيه بحال ممَّن اغتر بمالِ قارون والذين معه؛ ولهذا كانت طعنة أهل البدع في الدين طعنة بمقتل، إذ كانت قائمة على نفاق ودس للسم بالعسل، كما فعله الزنادقة بدس الأخبار الموضوعة، والآثار المبتورة، والأحاديث المكذوبة بين الناس.

وقد حذر المحدث الملهَم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، من هؤلاء وجعلهم أحد أركان هدم هذا الدين إذ لم يجدوا يدًا مانعة، وألسنةً بالحق صادعة، لهم فقال فيهم «يهدم الدين، زلة العالم، وجدال المنافقين بالكتاب،

تحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي.

(١) أدب الطلب للشوكاني، (ص٧٨)، وهو من الكتب المهمة التي لا يستغني عنه طالب العلم.

وحكم الأئمة المضلين»(١).

✍ **وقال** رضي الله عنه: «أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم، قالوا: وكيف يكونُ المنافق عليمًا؟ قال: يتكلَّم بالحكمة ويعملُ بالجور، أو قال: بالمنكر»(٢).

✍ **وقد كان الثوري** رحمه الله **يقول**: «تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون»(٣).

فهؤلاء يريدون أن يجعلوا العقل حاكمًا على الشرع، وينادون بنظريات لا يعرف لها سلف، وظنَّ هؤلاء أنهم أتوا بشيء جديد وما منع السلف من الخوض بما وقعوا هم فيه، إلا الوقوف على أمر الشرع، وترك التنازع لأنَّه مصدر يؤدي إلى الاختلاف، ثم إلى الافتراق، وهذا سبيل الشيطان، وعلامة من علامات المغضوب عليهم والضالين.

✍ **قال إمام أهل الشام في زمانه أبو عمرو الأوزاعي** رحمه الله: «اصبر على

---

(١) رواه الدارمي، (١/ ٨٢) وابن المبارك في الزهد ص (٢٠٥)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٣٤).
والبيهقي في المدخل، (ص٤٤٣)، وابن عبد البر، (٢/ ٢٢٣)، وأبو شامة في الباعث، (ص١٨).

(٢) انظر: صفة النفاق للفريابي، (ص٦٨)، وفتح الباري لابن رجب الحنبلي، (١/ ١٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى، مبحث التوسل والوسيلة، وابن قيم في إعلام الموقعين، في ذكر أنَّ «البدع واتباع الهوى جالبة لكل شرّ»،(١/ ١٣٧)، والبغوي في شرح السنَّة، في ذكر قبض العلم. (١/ ٣٥٦) وعيون الأخبار، (٢/ ١٤٠).

السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم»(١).

✍ **وقال أبو المظفر المروزي في «الانتصار لأصحاب الحديث»**: «وإنما ترد البدعة بالأثر لا ببدعة مثلها فإنه روي عن عبد الرحمن بن مهدي الإمام المقدم قال «إنمَّا يرد على أهل البدع بآثار رسول الله ﷺ، وآثار الصالحين فأمَّا من ردَّ عليهم بالمعقول فقد رد باطلا بباطل!».

فهؤلاء الأئمة هم المرجوع إليهم في أمر الدين وبيان الشرع ومن سلك طريقًا في الإسلام بعدهم فإياهم يتبع وبهم يقتدى وموافقتهم يتحرى، فلا يجوز لمسلم أن يظن بهم ظن السوء وأنَّهم قالوا ذلك عن جهل وقلة علم وخبرة في الدين.

وما هذا إلا من الغل الذي أمر الله بالاستعاذة منه فقال: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠].

فتبين لنا أنَّ الطريق عند الأئمة الهادية اتباع السلف والاقتداء بهم دون الرجوع إلى الآراء.

✍ **ومن هنا قال بعضهم**: العلم علمان؛ علم نبوي، وعلم نظري.

والعلم النظري محتاج إلى العلم النبوي لأن العلم النبوي جاء من الله

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم «٣١٥» ١/ ١٥٤، وذكره ابن قدامة في تحريم النظر في كتب أهل الكلام، (صـ٤١)، وذكره ابن الجوزي، في تلبيس إبليس(ص١٦)، والسيوطي في الأمر بالإتباع (ص٤٩).

وهو مقرون بالصواب على كل حال؛ والعلم النظري ما يستنبط ويجوز أن يكون صوابا ويجوز أن يكون خطأ»[١]اهـ.

وقد ظهر هذا الأصل لدى بعض غلاة الصوفيَّة، وذلك عند التأمل في عباراتهم المهزولة التي تشك في بعض الأحيان في انتساب بعضهم إلى الإسلام، كابن عربي، صاحب كتاب الفصوص[٢]، وابن الفارض، والحلاج الذي أجمع أهل الإسلام على كفره[٣]، وغيرهم.

---

(١) انظر: الانتصار (ص١٠).

(٢) وقد وذكر المؤيد إسماعيل أبو الفداء في كتابه، «أخبار البشر»، (٤/ ٧٩)، قائلًا، «لما دخلت سنة سبع مئة وأربعين، وفيها مزقنا كتاب، «فصوص الحكم»، بالمدرسة العصفورية بحلب، عقب الدرس وغسلناه، وهو من تصانيف محيي الدين ابن عربي، تنبيهًا على تحريم قنيته ومطالعته، وقلتُ فيه:

هذه فصوص لم تكن بنفيسةٍ في نفسها.
أنا قد قرأتُ نقوشها فثوابها في عكسها»

وينظر كتاب الشيخ الفاضل، مشهور حسن حفظه الله، «كتب حذر منها العلماء»، (١/ ٣٧)، ط: دار الصميعي.

(٣) قال: ابن الجوزي رحمه الله، «تلبيس إبليس»، «اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضي ووافقه العلماء وإنما سكت عنه أبو العباس سريج؛ وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلًا منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت ابراهيم بن محمد النصر ابادي كان يقول إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلًا من الكل بالشرع وبعدا عن معرفة النقل وقد جمعت في أخبار الحلاج كتابا بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال».

وظهر اليوم في زماننا بشيوع كبير، عند من يجعل العلماء هم المقياس المطلق في قبول الفعل أو تركه، وذلك من خلال التعصب المذهبي، والتقليد العمي، ولهذا قال أهل الجاهليَّة لـمَّا جاءهم النبي ﷺ مستغربين ومتحاكمين بذلك إلى التقليد الذي كان عندهم شرعة يتحاكمون إليها، ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥].

وقد ذمَّ اللهُ في كتابه من شرع دينًا لم ينزله، أو حلل أو حرم بغير وحي من الله، فقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١].

✍ **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: «وأما دين أهل الشرك، ومبتدعة أهل الكتاب، فهو دين لم ينزل الله به سلطانًا، إما أن يدعوا مع الله غيره من المخلوقات، أو يقولوا: إنَّما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وإما أن يعبدوه بغير ما أمر وشرع، مما شرعه لهم شركاؤهم، أي الذين جعلوهم شركاء لله.

كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١].

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ

وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠](١).

✍ **قال ابن أبي العز الحنفي** رحمه الله: «التعصب لهذا العالم دون هذا العالم، وإنمَّا يأتي ذلك غالبًا من هوى النفس فيكون حينئذٍ قد جبل على خلق ذميم»(٢).

ومن الأسباب التعالم كما يراها الناظر في الساحة العلميَّة «التقليد» لغير حاجة وضرورة شرعية، لا سيَّما التقليد الغير منضبط بعدد، وهو يختلف باختلاف الأشخاص، وبتغير المكان والزمان، وبصفات الأتباع وبسبب التقليد، هل هو حظ نفس، أم جهل وعدم دراية!(٣).

واعلم أيُّها القارئ أنَّ هذا التقليد فيه جناية على الساحة العلمية!

إن لم يكن مقيدًا بضوابط شرعية.

ورقابة علميَّة.

مع النظر بعين الإخلاص.

وبقصد الوصول إلى الحق وتعذره، إلا بمثل هذه الوسيلة-**يعني التقليد**- فهذا ممَّا لا حرج به، وهو مقرر عند أهل العلم، **قال الشوكاني** رحمه الله: «وما هذا

---

(١) انظر: قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، (ص٢٣) ط: دار العاصمة.

(٢) انظر: الاتباع لابن أبي العز الحنفي، (ص٢٥).

(٣) كتابي: «التعالم، أسبابه ومظاهره».

بأول باب من أبواب الشرع أهمله الناس وخالفوا فيه السنن الواضحة والشرائع الثابتة ولا سيَّما بعد أن استعلى الجهل على العلم، وغلبت آراء الرجال ما جاء في الكتاب والسنَّة، وصار التقليد والتمذهب هو المعروف عند الجمهور وغيره المنكر»(١).

✍ **واعلم أنَّ أنواع التقليد المحرم، «على ثلاثة أنواع كما قاله ابن قيم:**

أحدها: الإعراض عمَّا أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء.

الثاني: تقليد من لا يعلم المقلد أنَّه أهل لأن يؤخذ بقوله.

الثالث: التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد، والفرق بين هذا وبين النوع الأول، أنَّ الأول قلد قبل تمكنه من العلم والحجة، وهذا قلد بعد ظهور الحجة له؛ فهو أولى بالذم ومعصية الله ورسوله»(٢).

✍ **وقال ﷺ في نونيته:**

والله ما خوفي الذنوب فإنَّها ... لعلى طريق العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب عن ... تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضا بآراء الرجال وخرصها ... لا كان ذاك بمنّة الرّحمن

أما التقليد الأعمى، الذي يقيد مدارك الإنسان، ويكبل قدرات الطالب

---

(١) أدب الطلب، (ص٢١٥)

(٢) من كلام ابن قيم ﷺ في إعلام الموقعين، (٢/ ١٢٩)، في ذكر أنواع التقليد.

عن التأمل والبحث(١)، مع حصول الاختلاف الغير منضبط بضوابط الشرع، وسير السلف في مسائل الاختلاف، التي لا يخلو منها زمان؛ فهذا مذموم، لأنَّه يؤدي إلى حصول الاختلافات، ثمَّ الافتراق، ثمَّ ظهور الفتاوى التي تفوح منها حظوظ النَّفس، لا حق الشرع، ويظهر فيها التعالي، لا للوصول إلى الحق وطلب المعالي.

وفي هذا ينطبق قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب:٦٧].

✍ **قال ابن عبد البر** ﷺ معلقًا: «ومثل هذا في القرآن من ذمَّ تقليد الآباء والرؤساء، وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها، لأنَّ التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنَّما وقع التشبيه بين التقليديين بغير حجة للمقلد، كما لو قلد رجل فكفر، وقلد آخر فأذنب فقلد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها، كان كلٌّ

(١) قال الإمام ابن الجوزي ﷺ في تلبيس إبليس: (وفي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال علي ﷺ للحرث بن حوط وقد قال له أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له يا حارث إنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله وكان أحمد بن حنبل يقول من ضيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلا ولهذا أخذ أحمد بن حنبل يقول زيد في الجد وترك قول أبي بكر الصديق ﷺ».

واحد ملومًا على التقليدِ بغير حجة؛ لأنَّ كلَّ ذلك تقليد يشبه بعضه بعضًا، وإنْ اختلفت الآثام فيه»(١).

✍ **وعن أبي العالية عن ابن عباس** -رضي الله عنه- **قال**: «ويل للأتباع من عثرات العالم» قيل: وكيف ذاك؟ قال: «يقول العالم برأيه فيبلغه الشيء عن النبي ﷺ خلافه فيرجع ويمضي الأتباع بما سمعوا» (٢).

✍ **ومن هنا قرر الإمام الشوكاني** رحمه الله أصلًا في هذا الباب، بقوله: «فإذا قال مجتهد من المجتهدين: هذا حلال، وقال الآخر: هذا حرام، فليس أحدهما أولى بالحق من الآخر وإن كان أكثر منه علمًا أو أكبر منه سنًّا أو أقدم منه عصرًا لأنَّ كلَّ واحد منهما فرد من أفراد عباد الله ومتعبد بما في الشريعة المطهرة ممَّا في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومطلوب منه ما طلب الله من غيره من العباد. وكثرة علمه وبلوغه درجة الاجتهاد أو مجاوزته لها لا يسقط عنه شيئًا من الشرائع التي شرعها الله لعباده»(٣).

وقد أحكم ذلك شيخ الإسلام في كتابه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وتلميذه ابن قيم الجوزيَّة، في كتابه، «إعلام الموقعين عن ربّ العالمين»، فلينظر فيه.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، (٢/ ٢٢٢).

(٢) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه، بإسنادٍ صحيح، (٢/ ٢٨) وابن عبد البر في جامع بيان العلم، (١٨٧٧).

(٣) انظر: رسالة شرح الصدور بتحريم رفع القبور، (ص٧)، ط: الرئاسة العامة لشؤون المساجد.

✍ **ومن بديعِ ما أشار إليه تاج الدين السبكي** رحمه الله حول **التقليد المحبب والمذمم**، بقوله: «ثمَّ ليت من يُسلم من هؤلاء يرى فقيهًا يمسكه، ويحدِّثه، ويعرِّفه دين الإسلام، لينشرح صدره لما دخل فيه؛ بل -واللَّه-يتركونه هَمَلًا لا يُدرى ما باطنه: هل هو كما يظهِر من الإسلام، أو كما كان عليه من الكفر؟ لأنهم لم يُرُوه من الآيات، والبراهين ما يشرح صدره. فيا أيُّها العلماء، في مثل هذا فاجتهدوا، وتعصَّبوا.

وأمَّا تعصّبكم في فروع الدين، وحملكم الناس على مذهب واحد فهو الذي لا يقبله اللَّه منكم، ولا لحملكم عليه إلَّا محضر التعصُّب والتحاسُد.

ولو أنَّ أبا حنيفة والشافعيّ ومالكًا وأحمد أحياء يُرزقون لشدَّدوا النكير عليكم، وتبرَّؤوا منكم فيما تفعلون.

فلعمر الله لا أحصي من رأيته يشمِّر عن ساعد الاجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولا يُسّمي.

أو حنفيّ يلمس ذكره، ولا يتوضأ.

أو مالكيّ يصلِّي ولا يبسمل.

أو حنبليّ يقدم الجمعة على الزوال؛ وهو يرى من العوامّ ما لا يحصي عدده إلَّا اللَّه تعالى، يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك وأحمد ضرب العنق، ولا ينكرون عليه، بل لو دخلَ الواحد منهم بيته لرأى كثيرًا من نسائه يترك الصلاة، وهو ساكت عنهنَّ. فياللَّه وللمسلمين! أهذا

فقيه على الحقيقة! قبَّح اللَّه مثل هذا الفقيه»(١).

- ومن مظاهر تحكيم العقل عن النقل، من يصحح الأحاديث النبويَّة وفقًا لذوقه وشهوته، فضلًا عن نصرة بدعته، **وقد أرجع الشيخ الألباني رحمه الله أسباب الابتداع إلى عدة أمور:**

الأول: أحاديث ضعيفة لا يجوز الاحتجاج بها ولا نسبتها إلى النبي ﷺ ومثل هذا لا يجوز العمل به عندنا على ما بينته في مقدمة «صفة صلاة النبي ﷺ» وهو مذهب جماعة من أهل العلم كابن تيمية وغيره.

الثاني: أحاديث موضوعة أو لا أصل لها خفي أمرها على بعض الفقهاء فبنوا عليها أحكامًا هي من صميم البدع ومحدثات الأمور!(٢)

ومن هنا فتجد أنَّ أصحاب المنهج العقلي، والفلاسفة والمستشرقين يفرحون بشهوات هؤلاء التي جعلوها حاكمًا على الدين من تضعيف الصحيح، وتصحيح الضعيف وتحسينه، ومن تكلم بغير فنه أتى بالعجائب(٣).

---

(١) انظر: «معيد النعم ومبيد النقم»، المثال، السادس والأربعون، (ص٦٣).

(٢) انظر: كتاب حجة النبي ﷺ، (ص١٠١)

(٣) قال حماد بن زيد رحمه الله «وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث» تدريب الراوي: (ص١٨٦)، واللآلئ المصنوعة »: (٢/ ٢٤٨).
قال ابن قتيبة رحمه الله في تأويل مختلف الحديث، (ص٣٥٥)، «الحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة «منها الزنادقة» واجتيالهم للإسلام وتهجينه بدس الأحاديث المستشنعة والمستحيلة كالأحاديث التي قدمنا ذكرها من عرق الخيل

✍ **قال ابن قتيبة** ﷺ **في رده على مطاعن أهل الكلام في أهل الحديث:** «ومع روايتهم كلَّ سخافةٍ تبعث على الإسلام الطاعنين، وتضحك منه الملحدين، وتزهد من الدخول فيه المرتادين، وتزيد في شكوك المرتابين»(١).

✍ **وقال أبو الوفاء علي بن عقيل الفقيه:** قال شيخنا أبو الفضل الهمداني: «مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحدين؟ لأنَّ الملحدين قصدوا إفساد الدين من خارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من داخل، فهم كأهلِ بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالحاضرين من خارج، فالدخلاء يفتحون الحصن فهو شر على الاسلام من غير الملابسين له»(٢).

وبعض هؤلاء قد امتنع عن قبول دعوة التوحيد ودخول في دين الإسلام، لما يراه من أحوال هؤلاء، وهذا مشاهد في زماننا في امتناع النصارى، فضلًا عن المستشرقين أن وجد منهم صادق وأقيمت له حجة، أن يدخلوا في الدين، لمَّا يرونه من سمت الذل والهوان في المنطق والحال، كما قال: الإمام ابن قيم ﷺ في «إغاثة اللهفان»: «ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيرًا من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبروا أنَّ المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام، ممّن يعظّهم الجهال من البدع والظلم والفجور

وعيادة الملائكة وقفص الذهب على جمل أورق وزغب الصدر ونور الذراعين مع أشياء كثيرة ليست تخفى على أهل الحديث».

(١) تأويل مختلف الحديث، مقدمة ابن قتيبة.

(٢) انظر كتاب الموضوعات لابن الجوزي، المقدمة منه، (١/ ١٥).

والمكر، والاحتيال، ونسبة ذلك إلى الشرع، ولمن جاء به، فساء ظنهم بالشرع وبمن جاء به!

فالله طليب قطّاع الطريق وحسيبهم(١).

ولسان حال هؤلاء الذين يقصون ويتكلمون بأحاديث كاذبة على الناس، «نحن نكذب له لا عليه»(٢)، وهم قد كذبوا عليه ﷺ، وكذبوا على أنفسهم، ومن تبعهم من سذج أهل الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

✍ **قال أبو عثمان الصابوني** رحمه الله: سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول: سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول: سمعت أبا نصر بن سلام الفقيه يقول: ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث، وروايته بإسناده(٣).

واعلم أنَّ أثقل النَّاس على أهل الإلحادِ وأصحاب المنهج العقلي **وفرق أهل البدع**، «أهل الحديث، وأصحاب الأثر»، فهم ولله الحمد والمنَّة، قد

---

(١) (٢/ ٤١٦)، وانظر كتاب، مناظرات ابن تيمية-رحمه الله-لأهل الملل والنِّحل، جمع الدكتور عبد العزيز عبد اللطيف حفظه الله، (ص٢٠)، ط: مجلة البيان.

(٢) قال ذهبي العصر، الشيخ المحدث، عبد الرحمن المعلمي رحمه الله، في الأنوار الكاشفة، (ص٧٢)، (وُجِد من أهل الجهل والضلال من تشبث بكلمة، «عليَّ» فقال: نحن نكذب له لا عليه).

(٣) أخرجه في كتاب عقيدة السلف، الأثر رقم، (٧٥)، والحاكم في معرفة علوم الحديث، (ص٤)، كما أشار المؤلف في روايته عنه، والخطيب في شرف أصحاب الحديث، (ص١٣٧).

شهد لهم التاريخ، بأنَّهم يحمون شريعة المسلمين من زيغ الزائغين، وتربص المعتدين، وبدع المبتدعين، فأهلُ الحديث عند أهلِ البدع من أبغض النَّاس؟ لأنهم يكشفون كذبهم، ويبينون تدليسهم بعلم الحديث، ويضبطون صحة كلامهم بعلم الإسناد، ويكشفون تدليسهم بعلم الرجال، ويعرفون ثبوت اللقيا والتحديث بعلم التاريخ-**الوفيات والولادات**- فإذا حدث رجل منهم بحديثٍ أراد به أن ينصر بدعته، طالبوه بالسند فإنْ كان موافقًا لقواعدِ الحديث، وعلموا أنَّه غير منسوخٍ، ولا معلولٍ، وأنَّ الاستدلال به في موضعه أخذوا به، ولم يعارضوه بعقولهم؛ لأنَّهم أصحاب الحقِ وأهل الدليل. وإنْ كان مخالفًا لقواعد الحديث، مسوغًا لبدعة، أو منسوخًا بغيره ردوه على قائله أيًا كان.

✍ **وعن الأعمش** رحمه الله قال: «حدثنا رجل كان يكلم الجنَّ قالوا ليس علينا أشدُّ ممَّن يتبع السنَّة وأمَّا أصحاب الأهواءِ فإنَّا نلعبُ بهم لعبًا»(١).

✍ **قال السلفي**(٢): أنشدنا السراج لنفسه(٣):

لله در عصابة ... يسعون في طلب الفوائد

يدعون أصحاب الحديث ... بهم تجملت المشاهد

طورا تراهم بالصعيد ... وتارة في ثغر آمد

---

(١) انظر تلبيس إبليس، (ص٤٧)، ورواه أبو نعيم بإسنادٍ صحيح.

(٢) هو السراج أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسن، أنظر ترجمته رقم «(١٤٦)، من الطبقة السادسة والعشرون.

(٣) سير أعلام النبلاء؛ (١٩/ ٢٣٢) ط: الرسالة

يتبعـــــون مـــــن العلـــــو ... م بكـــــل أرض كـــــل شـــــارد
وهـــــم النجـــــوم المقتـــــدى ... بهـــــم إلى ســـــبل المقاصـــــد

وهنا مسألة، ينبغي أن نعلم أن العقل خادم للشرع، ومتى ما جعل العقل حاكمًا على الشرع كان ذلك دليل يعرف صاحبه أنَّه من أهل الغاوية.

تقديم العقل على النقل، سبب من أسباب الحرمان، وسبيل أهل الشقاوة والخسران، وهو باب يحط مراتب العبد، من أعلى الدرجات إلى أسفل الدركات، فضلًا عن غضب ربِّ الأرض والسموات، وهذا مشاهد في رفض إبليس لأمر الله في السجود لآدم عليه السلام، فهو قايس هذا بعقله، ولم يخضع لأمر الله طواعية، فورد بذلك المهالك، وكان من المغضوب عليهم، ومن المرجومين إلى يوم الدين.

✍ **فعن ابن سيرين قال:** «أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس» (١)

✍ **قال الإمام ابن قيم** رحمه الله: «**إنَّ معارضة الوحي بالعقل ميراث عن الشيخ أبي مرة**-يعني إبليس-فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدمه عليه فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي مركب من مقدمتين حمليتين:

إحداهما: قوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:١٢] فهذه هي الصغرى، والكبرى

(١) سنن الدارمي، المقدمة، (١/ ٦٢)، رقم، (١٧٩)، وقال الشيخ حسن أسد، «إسناده جيد».

محذوفة تقديرها والفاضل لا يسجد للمفضول وذكر مستند المقدمة الأولى وهو أيضا قياس حملي حذف إحدى مقدمتيه فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢].

والمقدمة الثانية: كأنَّها معلومة أي ومن خلق من نار أفضل ممَّن خلق من طين فهما قياسان متداخلان، وهذه يسميها المنطقيون الأقيسة المتداخلة فالقياس الأول هكذا أنا خير منه وخير المخلوقين لا يسجد لمن هو دونه، وهذا من الشكل الأول، والقياس الثاني هكذا خلقتني من نار وخلقته من طين والمخلوق من النار خير من المخلوق من الطين فنتيجة هذا القياس العقلي أنا خير منه ونتيجة الأول ولا ينبغي لي أن أسجد له.

وأنت إذا تأملت مادة هذا القياس وصورته رأيته أقوى من كثير من قياساتهم التي عارضوا بها الوحي وقدموها عليه والكل باطل»(١).

✍ **قال أبو الحسين الملطي**: «وأهل البدع وافقوا إبليس في محال القياس، وتركوا النص من التنزيل، وتأولوا تأولًا فاسدًا، فعدلوا عن نصّ الخبر إلى القياس الفاسد»(٢).

✍ **قال ابن أبي العز الحنفي** رحمه الله في شرحه على الطحاوية: «وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلم لأمر ربه، بل قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن قيم، (٣/ ٩٩٨).

(٢) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، (ص٩٦)، ط: رمادي للنشر.

وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٢].

ومن تأمل نصوص الشرع، أدرك أنَّه لا معارضة بين العقل والنقل، وإن حصل فذلك لأن العقل قاصر عن إدراك فهم النص الشرعي، وليس في هذا مطعن إذ أن الناس ليسوا في الفهم سواسية(١)، وهذا المفهوم مقرر عند أهل السنة والجماعة، وأشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله في: «**درء تعارض العقل والنقل**»:

وقد يكون السبب في ذلك كون أنَّ الدليل لم تثبت صحته، ومتى ما كان الدليل صحيح صريح قطع بذلك دابر كلَّ مبتدع أفَّاك؟ ومتى ما كان فيه غموض أو ضعف، كان ذلك سبيلًا لنشر البدع؟ وذلك لأن الكل يتأول لبدعته وتسويغها فيصبح الحال كما قال: مجنون بني عامر:

وكل يدَّعي وصلًا لليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

وقد أبان النَّبي ﷺ سبيل النَّجاةِ من الفتن، والفكاك من الشبه، إنَّما يكون باتباع الكتاب والسنَّة، وأوضح أنَّ ذلك لا يكون إلا بالفهم السديد الذي يوافق فهم صحبه الكرام، فبيَّن عند ذكر حديث الافتراق أنَّ «الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية» هي التي تكون كما كان الصحابة، وهذا لا يكون في مسائلٍ ومسائل، بل في كامل مسائل الدين! في أصولياته وفرعياته، وفي الظاهر والباطن، وذلك حتى ينجو صاحبه من سمت أهل النَّفاق الذين كانوا

(١) وقد كتبت قاعدة موجزة، بعنوان، «الاختلاف في الفهوم ليس مدعاة للخصوم» وهي قواعد في فقه الاختلاف، نشرت في موقع نور سورية، بعنوان رسائل في الدعوة، (١، ٢).

في عصره يظهرون الإسلام والولاء، ويبطنون الكفر والبغضاء، فهم أحفاد اليهود وفراخ المجوس أعاذنا الله منهم ومن صفاتهم..

✍ **وصدق من قال:**

علمُ العليمِ وعقلُ العاقل اختلفا ... من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال: أنا أحرزتُ غايتَه ... والعقلُ قال: أنا الرحمن بي عُرفا
فأفصح العلم إفصاحًا وقال ... له بأيّنا الله في فرقانه اتّصفا
فبان للعقل أن العلم سيِّدهُ ... فقبل العقل رأس العلم وانصرفا(١)

✍ **ولهذا فاعلم**: «إنَّ الرأي ثلاثة أقسام:

- رأي باطل بلا ريب.
- ورأي صحيح.
- ورأي هو موضع الاشتباه.

والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف، فاستعملوا الرأي الصحيح، وعملوا به وأفتوا به، وسوغوا القول به.

وذموا الباطل، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به.

وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله»(٢) .

---

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب لشيخ: سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، (١/ ٤٢) ط: دار الفكر.

(٢) من كلام الإمام ابن قيم الجوزيَّة ﷺ في كتابه الماتع، إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، (١/ ٣٥).

✍ **وخلاصة الكلام** ينبغي أن نعلم أن العقل هو محل التكليف ومناط الإدراك، وهو حجة الله على خلقه، وقد مدح الله أهل العقول الزكية التي تأملت آياته وطبقتها على الواقع فليعلم ذلك.

✍ **قال ابن عباس** - رضي الله عنهما - ولد لكسرى مولود فأحضر بعض المؤدبين ووضع الصبي بين يديه، وقال ما خير ما أوتي هذا المولود؟

قال: عقل يولد معه.

قال: فإنْ لم يكن؟!

قال: فأدب حسن يعيش به في النَّاس.

قال: فإنْ لم يكن

قال: فصاعقة تحرقه.

✍ **وفي ذلك قيل:**

ما وهب الله لامرئٍ هبةً ... أحسنَ من عقله ومن أدبه
هما جمالُ الفتى فإن فُقِدا ... ففقدهُ للحياة أجملُ به(١)

✍ **قال الماوردي كلامًا جميلًا في ذلك:** «اعلم أنَّ لكل فضيلة أساس ولكلِّ أدب ينبوعًا، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلًا وللدنيا عمادًا، فأوجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألفَّ به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم

(١) روضة المحبين،، (ص٣٩)، ط: دار ابن كثير.

ومقاصدهم»(١).

وبهذا يظهر أهمية العقل، وأنَّ العقل من أعظم النعم، وأنَّ الواجب على كلِّ عاقل أن يسلم لشرع الله، ولا يعارضه لأي شبهة، وأن يستعين بالله ثم بأهل العلم في بيان المشكل والمعضل والله تعالى أعلم.

[٣] الأصل الثالث: تحكيم العاطفة على الدين:

وقد ظهر: «تحكيم العاطفة في الدين» في زماننا بنسب متفاوتة، كمن ينكر التشريعات من أهل العلمنة، والشيوعيين، والفلاسفة، وغيرهم، وقد يظهر هذا الأصل بشكل آخر كمن يبتدع ويتأول لبدعته، كمن يجعل فرط المحبة دليلًا على اتباع السنة، ومحبة النبي ﷺ، فيقع بذلك مغاليًا كما حصل ذلك مع غلاة الرافضة والصوفية وغيرهم.

فمن ينكر تطبيق الحدود على شروطها مع انتفاء الموانع في حق مرتكبها، تراه غالبًا ما يستدل بقانون العاطفة.(٢) في حين كان الأولى به التأمل فيما ارتكبه الجاني من، التعدي على الحرمات، ونهب الأموال، واغتصاب الحقوق، والتعدي على الدماء والأعراض(٣)، والشريعة عندما توجب الحدود، تشترط بذلك شروط، وتجرم من يفتري ويتكلم بلا علم

---

(١) أدب الدنيا والدين، (ص٧)، «في فضل العقل وذم الهوى»، ط: التوفيقية.

(٢) مثل من ينكر تطبيق حد الردة، بدعوة حرية الرأي والفكر... وهلم جر.

(٣) انظرْ: مثلًا كتاب «حكم الجاهلية» للعلامة أحمد شاكر، (ص١٥)، وما بعد، ط: مكتبة السنة-القاهرة، ورسالة: «تحكيم القوانين»، بقلم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله.

بالتعزيرات والحدود[١]، فإنَّ التحاكم إلى شرع الله سبب من أسباب حفظ كرامة العباد، وضمانة لحياته ونفسه من الهدر والتطاول عليها، فالذي يقذف يجلد ويفسق وترد شهادته حتى يتوب إلى الله توبة نصوحًا كما أخبرنا بذلك الشرع المبين.

والزاني يجلد ويغرب على قول من يرى ذلك إنْ كان بكرًا، ويرجم إنْ كان ثيبًا عقوبةً له على فعله الدنيء وتعديه على حرمات الله وعلى أعراض النَّاس.

ومن سرق وتعدى حدود الله ونهب أموال الناس في غيبتهم تقطع يده على شرائط معلومة ذكرها الفقهاء.

وقد أورد بعض الزنادقة سؤالًا ينكر فيه الحد وضمنه ببيتين، فقال:

يد بخمس مئين من عسجد وُدِيَت ... ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض ما لنا إلا السكوت له ... ونستجير بمولانا من العار

فأجابه بعض الفقهاء بأنها كانت ثمينة لما كانت أمينة، فلما خانت هانت، وضمنه الناظم قوله:

يد بخمس مئي من عسجد وديت ... لكنها قطعت في ربع دينار
حماية الدم أغلاها وأرخصها ... خيانة المال فانظر حكمة الباري

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، «وروي أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-أنه أمر بتعزير شاهد الزور ويسود وجهه، ويركب مقلوبا على الدابة، فإن العقوبة من جنس الذنب فلما اسود وجهه بالكذب وقلب الحديث سود وجهه وقلب في ركوبه» انظر: الاستقامة، (ص١٩٩)، ط: دار الحديث.

✍ وروي أنَّ الإمام الشافعي -رحمه الله- أجاب بقوله:

هنـــاك مظلومـــة غالـــت بقيمتهـــا ... وها هنا ظلمت هانت على الباري(١)

ولهذا فإنَّ من حكَّم عاطفته وأنكر ما جاء به الشرع من قواعد وأصول تحفظ للإنسان، أموره الأساسية، لهو صاحب عاطفة فارغة؟ وذلك لأنَّها مجردة عن فهم الدين الصحيح، فضلًا عن المعرفة بنصوص الشرع، وأيضًا لمخالفتها لمدلول العقل الصحيح.

وقد وقع بهذا بعض الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، كمن أنكر الأسماء والصفات مثلًا، كالمعتزلة وغيرها من الفرق، فقالوا في صفة الرحمة

---

(١) إعلام الموقعين، (٢/ ٤٨)

قال فضيلة الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله في كتابه الفقه الإسلامي، (ص٧٤) وهو غير الفقه الإسلامي وأدلته، ط: جامعة دمشق-كلية الشريعة: «يظهر أن التساؤل من بعض الزنادقة، بدليل رد الشافعي الآتي، إذ من المعلوم أن المعري متأخر عن الشافعي، ويظهر أن الاعتراض تكرر من بعض الزنادقة، ومن المعري أيضا في عصرين مختلفين بدليل رد شمس الدين الكردي على المعري في قوله:

قل للمعري عار أيَّما عار ... جهل الفتى وهو عن ثوب التقى عار

لا تقدحن زناد الفكر في حكم ... شعائر الشرع لم تقدح بأشعار

فقيمة اليد نصف الألف من ذهب ... فإن تعدت فلا تسوى بدينار

✍ **قلت**: ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء، (١٧/ ١٢٠) عن أبي الفرج ابن الجوزي قوله: «زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو مجمج ولم يصرح».

أنها صفة لا تليق بالله تعالى، وذلك لأنها صفة ضعف في المخلوق، فلا يليق أن تضاف إلى الله، وهكذا قولهم في كثير من قواعد أصول الدين.

فهؤلاء، شبهوا، ثمَّ عطلوا، ثمَّ أنكروا،(١) وهذا دليل لما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ، في فتاواه، «عن بعض السلف قولهم، «البدعة بريد الكفر، والمعاصي بريد النفاق» فتأمل!

أهل الكلام دعونا من تعسفكم ... كم تبتغون لدين الله تبديلًا
ما أحدث الناس في أديانهم حدثا ... إلا جعلتم له وجها وتأويلًا (٢)

✍ **وأنشد أبو طاهر السلفي ﷺ نظمًا فقال فيه:**

وجانب كل مبتدع تراه ... فما إنَّ عندهم غير محال
ودع آراء أهل الزيغ رأسًا ... ولا تغررك حذلقةَ الرذال
فليس يدومُ للبدعي رأيٌ ... ومن أين المقر بذي ارتحال

وقد يظهر «الأصل» بشكل آخر كمن يبتدع ويتأول لبدعته، كحال من يدعي فرط المحبة فيقع في الغلو الذي حذر الله منه، ونهى عنه النبي ﷺ فيمن أطراه، حتى أمرهم أنْ يكفوا عن ذلك، وكل ذلك حماية لجناب التوحيد، وسد للذرائع المؤدية إلى المهالك، كما حصل ذلك مع من عبد

---

(١) المعطل: هو من نفى شيئًا من أسماء الله، أو صفاته، كالجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم.
والممثل: هو من أثبت الصفات لله ممثلًا له بخلقه، كمتقدمي الرافضة ونحوهم.
وحقيقة الأمر أن كل معطّل ممثّل، وكل ممثل معطل. انظر: فتح رب البرية.
(٢) الانتصار لأهل الحديث، المروزي الحنفي، (ص١٣).

أولئك الرجال الصالحين الذين زين الشيطان لأقوامهم من بعدهم فصوروهم ثم عبدوهم، ثم صار ذلك عادة يتوارثها الأبناء عن الآباء، فصارت شرعة لدى القوم يتوارثونها جيلا بعد جيل، وهو مشاهد في بعض الفرق الإسلامية، كالرافضة مثلا مع الأئمة الاثنا عشرية وقد وقع به غلاة الصوفية، كالقول بالحلول والاتحاد، وغير ذلك.

* **فأما الحب** فقد فصل القرآن في بيان قيده، فقيد الحب الصادق الاتباع ولا يكفي به مجرد الدعوة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال:٢٠]، وقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ ﴾ [النور:٥٤]، وقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

وقال: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ ﴾ [النور:٥٤]، وَقَالَ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [النساء:٨٠]، وَقَالَ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر:٧].(١)

ومن خلال هذه النصوص القرآنيَّة، يظهر لنا أنَّ وجه الاستنباط من هذه الآيات وغيرها، أنّ كل من ابتدع في الدين بدعة يدعي بها حب النبي ﷺ، فإنَّ هذا الفعل مخالف للشرع، مردود على صاحبه، لا يقبله الله منه، وعندنا بهذا قاعدة من قواعد العقيدة الصحيحة، وهو ما رواه الشيخان من

(١) وقد ذكر القاضي عياض في الشفا، (٢/ ٩) بعد أن ساق مجموعة من الآيات التي تحض على الطاعة، قال المفسرون والأئمة قالوا: ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه. اهـ

حديث أم المؤمنين عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد**»(١).

ولذا فقد شوهد أنَّ من أخطر ما يهدم السنة قيام البدعة على أمثال هذه الشبه ومن قبل من يدعي العلم!؟ فهي بذلك تلاقي قبولًا ورواجًا في أواسط الناس، لأنَّهم يرون أنَّها وقعت من حريص محب، ليست مع عامي غير مبالٍ! وقد قيل: «القلوب ضعيفة، والشبه خطافة»(٢).

✍ **قال ابن الجوزي**: «وربَّ فتنةٍ علق به شباها، فكانت سببًا في هلاكه»(٣).

ولذا فاعلم أنَّ العاطفة في أصلها صفة خير قد حبب الشرع إليها، ومدح

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ٣/ ٢٤١(٢٦٩٧)، ومسلم ٥/ ١٣٢ (١٧١٨) (١٧)، (١٨). وأخرجه: أحمد ٦/ ٧٣ وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤)، وابن أبي عاصم في « السنة » (٢٥) و (٣٥)، وأبو يعلى (٤٥٩٤)، وابن حبان (٢٦) و (٢٧)، والدارقطني ٤/ ٢٢٤، وأبو نعيم في « الحلية » ٣/ ١٧٣.
قال ابن رجب في شرح الأربعين (ص١١٦) ط: الدار العالمية: «"ليس عليه أمرنا" إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة، وتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جاريا تحت أحكام الشرع، موافقا لها، فهو مقبول، ومن كان خارجًا عن ذلك، فهو مردود».
وقال الإمام ابن دقيق العيد ﵀ في شرحه أيضًا (ص٤١)، «وهذا الحديث مما ينبغي العناية بحفظه وإشاعته واستعماله في إبطال المنكرات فإنه يتناول ذلك كله.»
(٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، (٧/ ٢٦١)، في ترجمة سفيان الثوري.
(٣) ذم الهوى، (ص٦٢)، ط: دار العقيدة.

أهلها، وجعل لهم جزاءً خيِّرًا، شرط ألا توظف في هجر أصل شرعي أو ترك فعل نبوي.

روى أحمد في مسنده عن ابن أبي نعم قال: كنت جالسًا عند ابن عمر رضي الله عنهما فجاءه رجل يسأل عن دم البعوض؟

فقال له: ابن عمر ممَّن أنت؟

قال: أنا من أهل العراق!

قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض! وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هما ريحانتي من الدنيا**»(١).

فهذه أيها الأخ المكرم، أصول مبنية على دعاوي واهية، تورد أهلها المهالك، وتجعل أهلها في زمرة المغضوب عليهم والضالّين، فمن ضل من اليهود فسبب ذلك علم يتبع بلا عمل، ومن ضلَّ من النصارى فسبب ذلك عبادة يتعبد بها بدون علم.

فقيد رحمني الله وإيَّاك عبادتك بالعلم والعمل مع كامل الإخلاص والاتباع والتوحيد. هذا والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر: المسند، (٩٤٠٥)، وفي رواية، (٦٨٥٥) وسأله رجل عن شيء -قال شعبة: وأحسبه سأله عن المحرم يقتل الذباب؟ - فقال عبد الله: أهل العراق يسألون عن الذباب، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ: «**هما ريحانتي من الدنيا**» وأصل هذه في البخاري، وانظر تخريج الشيخ شعيب لها.

الفهرس

المقدمـة ٧
مدخل إلى الكتاب ١٢
[١] الأصل الأول: تحكيم العادات على التشريعات: ١٧
[٢] الأصل الثاني: تحكيم العقل على مسائـــل الشـــرع: ٣٨
[٣] الأصل الثالث: تحكيم العاطفـة على الدين:..... ٦٧
الفهرس..... ٧٤

***